في
البلاغة القرآنية

أسرار الفصل والوصل

دكتور صباح عبيد دراز

دكتور صباح عبيد دراز
كلية اللغة العربية — جامعة الأزهر

في البلاغة القرآنية
أسرار الفصل والوصل

الطبعة الأولى
١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م

مطبعة الأمانة
٣ شارع جزيرة بدران شبرا - مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، نحمده ونستعينه ونستهديه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . وبعد :

فقد أنزل الله قرآنه العزيز ، بهـذه اللغة الشريفة ، فمنحها جانباً من الإعجاز والخلود ، وأعطى أدباءها دفعة أن يتحركوا - ما وسعهم الجهـد والطاقة - في هـذا المدى المتطاول فيما دون الإعجاز ، وهـذا دال ، على ما لهذه اللغـة من خصوبة وغنى بأسرارها وأنها نبع ثر لا يغيض ، يسع القرائح والمواهب والعقول .

وعلى كثرة ما قام به علماء العربية - على مدى الأجيال - فما زالت في حاجة إلى عقول كبيرة مخلصة تـكشف مزيدا من أسرارها ، وسمات تراكيبها وطرق أدائها في شعر شعرائها ونتاج أدبائها ، شاعرا شاعرا وكاتبا كاتبا ، وصولا من الخاص إلى العام أعنى الجمع بين السمات الخاصة وصولا إلى السمات العامة للعربية ، لـكن يبدو أن هذا مطمح غير قريب .

وإذا كان هـذا شأن اللغة في إطارها العام فإن للغة القرآن الـكريم شأناً أكبر وأخطر ؛ فما زالت قضـية الإعجاز البياني من أهم القضايا التي تستفرغ جهداً جهيداً . وما زالت المناهج - على كثرتها - تحاول أن تقدم جديداً . وأعنى بالمناهج ما استقر منها على أصول ثابتـة وقوانين ماثلة ، وما التحم بالتراث ينفضه نفضاً - كما يقول بعض المعاصرين - ويستثمر ما فيه

من قيم جليلة ، وهى كل متعاظم ؛ ذلك أن التواصل بين الجديد والقديم مازال قويا طالما أننا نكتب فنيا بذات اللغة التى كان يكتب بها القدماء وهى اللغة التى تجمع بين العربى وأخيه العربى مهما تباعدت بهم الديار .

أعنى بذلك أن المناهج التى لم تستقر والتى مازالت فى دور المحاولة والتجربة وتحديد المصطلح لا ينبغى أن تكون أملا لباحث جاد يحاول جديا فى اكتشاف أسرار الإعجاز أو سمات اللغة عموما .

ذلك أن اللغة العربية قد منحها القرآن صيغتها النهائية التى ترسم قوانين وأطرا عامة تتم بها تكوين اللغة فى البنية والهيئة والتركيب ، وهى بذلك لغة خالدة وتختلف عن سائر اللغات التى هى فى تغير مستمر ، وتطور وتقلب نطقا ، ودلالة ، وهذا سبب فى أن القارىء العادى قد يفهم شعر المهلهل وزهير وكعب بن زهير وجميل بن معمر بينما ما كتبه بن جونسون وشيكسبير وحتى فى عصرهم شرقا وغربا ليس واضحا عندهم ؛ بل لابد من تبسيط أقرب إلى الترجمة . وطالما أن لغتهم فى تغير فمناهجهم أيضا .

وانظر — مثلا — إلى الأسلوبية — وهى منهج يتكىء على اللسانيات ثم ينظر إلى النقد الأدبى على استحياء — تجد إلحاحا من بعض الباحثين — على الساحة العربية — عليها ومع اعترافهم بأنها مازالت فى طور التخلق والمحاولات والاجتهادات التى تختلف فى تحديد مصطلحها ، لاختلاف البيئات واللغات ما بين الفكر الروسى والتشيكى والأمريكى والأوربى عموما ؛ مع كل ذلك تجد هذا الإلحاف على الفكر العربى المعاصر بهذه الأسلوبية . وإنك لتقرأ لأحد الباحثين نموذجا فترى من التقسيمات والتقابلات والغموض ،

والمصطلحات التى يختلف فيها المزوجون فهنالك الأسلوبية التشريحية والذاتية والتعبيرية والوصفية ، الخ . . ثم إن بعضا ممن يكتب فيها يظن أسلوبه فى غموضه وإبهامه ما يترجم إلى العربيـة من مقالات الأسلوبيين أنفسهم مما شكا منه أدباء ونقاد كبار .

لكن المثير حقا هو أن الباحثين أو قل الناطقين العرب لا يرى أكثرهم صلة بين التراث العربى والأسلوبية ومعهم حق . ذلك أن اهتمامهم بالظاهر من الأسلوب أيا كان ولو نطق به ريفى على مدار ساقيته ، وهم فى خصام لذلك مع الحذف والتقدير بل مع النحاة والبلاغيين على السواء جميعا .

وقد نجد من تحمله حماسته من الباحثين على عقد موازنة بين البلاغة العربية عند السكاكى أو عبد القاهر وبين الأسلوبية أو بين عبد القاهر وتشومسكى أو من يحلل شعرا لشوقى أو غيره تحليلا أسلوبيا بنيويا يصطنع فيه المنهج الرياضى فهذا بعيد عن عالم النقد والجمال بمراحل .

وقد رأينا منهم من استثمر إشارة لبعض الغربيين فى التفرقة بين مؤدى « الواو » حرف العطف فى الكتاب المقدس عندهم وبينه فى شعر بعض شعرائهم فعالج حرف العطف فى القرآن من منطلق أسلوبى بدأ فيه بتجهيل المفسرين والنحاة والبلاغيين وبخاصة عبد القاهر — الذى أخطأ — من وجهـة نظره — خطأ كبيرا حين أقام دعائم النظم فى نظرية متكاملة .

هذه نماذج نذكرها ، وفيها قدر من الخطر على الناشئة لأنهـا تقدم كبدايات بينما هى عند أهلها محاولات ومجازفات .

[illegible] ينكرون على الجديد ـ على إطلاقه ـ بل ينكرونه [illegible] تكن له جذور ضاربة فى القديم أو لم يكن فى خدمة التراث إضافة [illegible] .

ولا بأس أن تعالج الأسلوبية ـ على فرض وصولها الى مستوى العلم ـ من خلال علم اللغة المقارن أو حتى النقد المقارن أما أن تكون ضمن « ايديولوجية الحداثة » التى هى فى أحسن مفاهيمها نسف الماضى بما فيه وما يقوم عليه فهذا مما لا يسكت عنه ، ولهذا موطن آخر .

ونعود لنقول : ان البلاغة القرآنية ما زالت منطوية على أسرار بكر وأن كثيرا من موضوعاتها ، لا تجد حوله إلا شذرات ولفتات وخواطر يستضاء بها .

وإليك مثلا موضوع الفصل والوصل فى القرآن ، فقد جهد الإمام عبد القاهر فى تتبع ذلك ، وبخاصة ما تذكر فيه الواو وما تترك فى الجمل التى لا محل لها . لأنها المواطن التى تحتاج قدرا من الفكر وإعمال الذهن وكان كلامه ـ رحمه الله ـ نهاية الاجتهاد لعقله الكبير وقلبه الملهم ، خوضا من القوانين ما لم يضف إليه المتأخرون إلا هذه المباحث القيمة فى عطف المفردات ، اهتدى الى جوانب منها الزمخشرى والسكاكى والسهيلى والرازى ، وأبو حيان ، وعنهم أخذ الزملكانى والعلوى والسبكى ، وأصحاب التقارير .

ولكن بقيت هناك ، جوانب خطيرة منها : قضية عطف الخبر على الإنشاء أو العكس ، وعطف المؤكد ، وحتى فى المفردات أو الصفات التى

جاءت فى مواطن متوالية دون عطف وفى أخرى معطوفة بالواو ، وأسرار ذلك بلاغيا ، تلك الأسرار الكامنة وراء العطف أو تركه ووراء عطف المتخالفات إنشاء وخبرا أو ترك العطف حسب « قانون كال الانقطاع » فى الأعم الأغلب .

وغير ذلك من القضايا التى يساورها — فى أناة وريث — هذا البحث — مؤملا فى الله التوفيق والسداد والنفع والرشاد .

والله ولى التوفيق ؟

صباح عبيد دراز

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل والوصل :

لعل الوصل والفصل بمعنى معرفة المواطن التى تقتضى العطف أو تركه من أقدم الاصطلاحات الفنية التى تنبه لها العلماء فى فجر التأليف البلاغى . أما إدراك هذه المواطن عند العرب فقد كان سليقة وفطرة ، بمعنى أن الأسلوب الخاص الذى يقتضى الواو مثلا أو تركها كان يجرى فى التعبير على نحو تلقائى لأنه معبر عن وجدانهم وفكرهم ، والواقع أن ما يكمن فى اللغة ، من نظام متكامل نحوى أو بلاغى مما يمثل عبقرية هذه اللغة، لم يكن نهجا عقليا صارما عند العرب فحسب ، بل كان حياة كاملة . أعنى تصويرا لعواطفهم وأحاسيسهم ومناحى تفكيرهم : فإدراكهم للأساليب كان حسا وجدانيا قبل أن يكون نظاما عقليا أو هما معا فى تداخل لاانفصام فيه . تأمل ماجاء فى الأثر حين سأل أبو بكر الصديق رضى الله عنه رجلا « هل تبيع هذا الثوب قال لاعافاك الله » فقال أبو بكر لقد علمتم لو كنتم تعلمون قل لا وعافاك الله »[1] يعنى أن الواو هنا تفصل بين جملتين الأولى منفية وهى جواب عن سؤال ، والثانية دعائية فيها أدب التعبير وسمو الذوق والخلق. ولو حذفت لأوهمت العبارة تحول المعنى من الدعاء له إلى الدعاء عليه ، وهو عكس ما يتطلبه المقام ، ولأثر الواو فى مثل هذه الأساليب بيانا للمعنى دون لبس وتجلية للاحساس دون خلط بل توقف ذلك على ذكرها ، صورها

---

(١) وراجع البيان والتبيين ١/٢٦١ .

الصاحب ابن عباد فى تعبير شعرى بأن الواو هنا أحسن من الواوات على خدود الملاح يقصد خصلات الشعر الملتوية المعقوفة على أصداغ الحسان وهو بهذا يعطى الواو بعداً جماليا فنياً[١] .

وقد قلنا إن فى هذه اللغة نظاما عبقريا متكاملا تشترك علوم العربية فى الكشف عن أسراره ومكنونه ، ونظن أن العلماء فى اللغة والنحو والبلاغة والنقد والأدب وغيرها قد أتيح لهم أن يكتشفوا قدرا أكبر من جوانب هذا النظام ، وما زال فى اللغة جوانب تنتظر المزيد من الجهد والكثير من المناهج .

ولا شك أن هذه اللغة الشريفة بأدواتها وألفاظها وتراكيبها ومناهج القول أو وسائل الأداء فيها ونسجها قد أعطت الأطر العامة للتعبير وتركت للأديب حرية التعبير بما يصطنع من وسائل تتعدد بتعدد الطبائع والمواهب هذا سر خلودها . ودع عنك من يقول بثباتها فهذا الثبات إن كان فيما تقوم عليه من قوانين عامة تمثل الوجدان العربى والفكر العربى المستمر فهذا صواب ، وإن كان فى وسائل التعبير ومناهج القول وطرق الأداء ، وهذا ما يقصده المستغربون فهو باطل داحض الحجة ؛ لأنها وسعت آلاف الشعراء والكتاب والأدباء ولكل وجهة وتسع غيرهما آلافا وآلافا . ولذا فمن يريد التجديد حقا فأمامه مجال الوسائل الفنية محكوما بالأطر العربية أو قوانين العربية . ذلك أن التجديد ينبغى أن يكون من داخل اللغة ذاتها وهى مرنة كما قلت ولأن اللغة تمثل نظاما دقيقا وبناء محكما وهندسة مكتملة نجد أن كل محاولة . أو دعوة زنيمة لتجديد اللغة العربية فى قواعدها

---

(١) درة الغواص للحريرى ٣١ .



أو قوانينها بإدخال بعض المفاهيم الغريبة الغربية أو الشرقية عليها بادعاء تطويرها إنما يقوم بذلك إما شعوبى حاقد أو ملحد ماكر أو جاهل إمعة، لأن عملية التطعيم هـذه تشويه للفكر والحس العربى، أو إحداث خلل فى منابع اللغة من فـكر وعاطفة وهو أمر تأبت عليه اللغة العربية منذ بدء الغـزو الثقافى من أعداء العروبة وأتباعهم الممسوخين، والواقع أنه لـكى تتقبل اللغة ما هو غريب عنها ينبغى أن ينقلوا العالم العربى إلى الغرب أو الشرق أو ينقلوها إليه، إذ كل كلمة فى العربية لها دلالتها وارتباطها بالبيئة والعرف والتقليد والثقافة والدين، فهى أشبه بملامح الوجه وسواد العين وجعودة الشعر أو استرساله وسمرة البشرة مما هو داخل فى سنن الوراثة وإن يتحول عبد الله العربى إلى مستر « جاكسون أو جهلاخوف » بجرة قلم مغرض.

وإطالتنا هنا عن قصد لأننا مللنا من هذه الدعاوى التى تلبس كل يوم زياً، وسئمنا من دعاة الأسلوبية والحداثة فى إلحافهم وإلحاحهم وحربهم للعربية والعجيب أن بعض تلامذة الأسلوبية يحاولون تطبيق بعض مفاهيمها الآن مع الأساليب القرآنية، فى محاولات فجة رديئة، تأباها اللغـة والحس العربى والإسـلامى.

والصلات أو العلاقات أو وسائل الاتصال بين الألفاظ فى الجملة وبين الجمل فى النسق القرآنى وكذلك بين المعانى القرآنية أشمل وأعم من الوصل بمعناه البلاغى، ذلك أن الوصل بمعنى العطف بين المفردات والجمل فى مواضعة المعروفة، وكذلك الفصل أيضاً بمعنى ترك العطف لشدة الالتحام والاتصال بين العبارات والجمل بأن تـكون الجملة الثانية جواباً عن سـؤال ناشئ عن

الجملة الأولى أو تأكيداً لها أو بيانا أو بدلا إلى غير ذلك من مواطن الفصل المعهودة إنما ذلك ، أعني الفصل والوصل ، من وسائل الاتصال والالتحام بين الأساليب ، تلك التي تشمل عديدا من الصور التعبيرية ووسائل الأداء كأدوات الربط والشرط والتقابل بين المعانى أو التناظر أو التفريع مما اجتهد فى تجليته علماء المناسبات أو التناسب بين الآيات والسور تلك ألف فيها العلماء بحوثا كالكرمانى والسيوطى وطبق ذلك باستقصاء وعمق وحسن تأتٍّ الإمام الرازى فى تفسيره والإمام البقاعى فى تفسيره أيضا . على أن للقرآن خاصية غريبة هى أن القرآن الكريم — كما يقول العلامة الشيخ محمد عبد الله دراز — حين يجمع الأجناس المختلفة لا يدعها حتى يبرزها فى صورة مؤتلفة ، وحتى يجعل من اختلافها نفسه قواما لائتلافها . وهذا التأليف بين المختلفات مازال هو العقدة التى يطلب حلها فى كل فن جميل وهو المقياس الدقيق الذى تقاس به مراتب البراعة ودقة الذوق فى تلك الفنون والصناعات »[1] ثم قال الشيخ رحمه الله « وعلى هذه القاعدة ترى القرآن يعمد تارة إلى الأضداد يجاور بينها فيخرج بذلك محاسنها ومساويها فى أجلى مظاهرها ويعمد تارة أخرى إلى الأمور المختلفة فى أنفسها من غير تضاد فيجعلها تتعاون فى أحكامها يسوق بعضها إلى بعض مساق التنظير أو التفريع أو الاستشهاد أو الاستنباط أو التكميل أو الاحتراس إلى غير ذلك . وربما جعل اقتران معنيين فى الوقوع التاريخى ، أو تجاور شيئين فى الوضع المكانى دعامة لاقترانهما فى النظم ، فيحسبه الجاهل بأسباب

(١) راجع النبأ العظيم ١٦١



النزول وطبيعة السكان خروجا وما هو بخروج وإنما هو إجابة لحاجات النفوس التى تتداعى فيها تلك المعانى فإن لم يكن بين المعنيين نسب ولا شبه بوجه من هذه الوجوه ونحوها رأيته يتلطف فى الانتقال من أحدهما إلى الآخر، إما بحسن التخلص والتمهيد ، وإما بإمالة الصيغ التركيبية على وضع يتلاقى فيه المتباعدان ويتصافح فيه المتناكران » . على أن روعة النظم القرآنى — كما علمت — لاتقوم دائما على حسن التجاور بين الآحاد ، بل ربما تراه قد أتم طائفة من المعانى ، ثم عاد إلى طائفة أخرى تقابلها فيكون حسن الموقع فى التجاور بين الطائفتين موجبا لحسن المقابلة بين الأوائل من كل منهما أو بين الأواخر كذلك ، لا بين الأول من هذه والآخر من تلك »[١] .

وفى هذه الفقرة الجامعة لايقتصر التناسب على الجامع العقلى أو الوهمى أو الخيالى بل يتعداه إلى تداعى المعانى فى النفس أو نوع من الجامع النفسى العام الذى ينتظم النفوس البشرية . وهذا غير مايروج له دعاة الشعر الحر من الجامع النفسى الخاص بالشاعر ،وهو لون من التهويمات أو فقاعات العقل الباطن أو اللاوعى، مما يدخل تحت أحلام اليقظة وخيالات الممرورين ثم إن الشيخ رحمه الله نبه إلى ضرب من التقابل، وهو وإن كان داخلا تحت الجامع العقلى يومىء إلى تقابل الأحداث ومجموعاتها ، أو النماذج ومايتعلق بها. كما ضرب لذلك مثلا بما فى قوله تعالى : « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون »[٢] بعد آيات المتقين

(١) المرجع ١٦١ — ١٦٢ . (٢) البقرة ٥



« الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » الآيات[١] فلم يأت العطف — كما يأتي في عطف النقيض على نقيضه — إذ لم يقصد اقتران الحديثين من أول الأمر بل على وجه يبنى فيه بعض الكلام على بعض إجابة لهذا السؤال الذى نطقت به الحال وهو الاستئناف البياني أو شبه كال الاتصال » .

وقد اجتمع هنا التقابل مع شبه كمال الاتصال تأكيدا للاتصال ولونا من ألوان التصوير بالطباق . وتداعي المعاني هذا سماه سيد قطب رحمه الله بالتناسق النفسي . ولعل من أوائل من تنبه له الزمخشري في تفسير الفاتحة[٢] ثم إن هذا التقابل طريقة من طرق التصوير والتلحين كما ذكر سيد قطب يكثر التعبير القرآني من استخدامها في تنسيق صوره التي يرسمها بالألفاظ على نحو دقيق[٣] .

والواقع أن العلماء في جمهرتهم يركزون على قضية التناسب التي لا تتخلف في القرآن الكريم بل ربما كانت شغل بعضهم الشاغل كالرازي والنيسابوري وابن العربي والبقاعي والشاطبي ، وهي قضية أثارها العلماء من قديم حين طعن بعض الملحدين في فكرة التناسب في القرآن في بعض الآيات كما في قوله تعالى : « كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين »[٤]

---

(١) البقرة ٢ — ٥
(٢) راجع التصوير الفني ٢٨ ، ٨٨ والكشاف ١/٦٤
(٣) راجع التصوير الفني ٩٦ .
(٤) الحجر ٩٠

وقوله تعالى : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق »[1] وقوله تعالى : « لاتحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه » ؛ مما اهتم الخطابى بالرد المقنع عليه واهتم به العلماء فى التفسير وعلوم القرآن . والآيتان الأوليان مبنيتان على الايجاز وهو شجاعة العربية وسر جمالها ، أى أنزلنا عليك كتابا كريما كما أنزلنا التوراة والانجيل على اليهود والنصارى الذين اقتسموا كتبهم فأخذوا ببعض وتركوا بعضا ، ثم قالوا فى عناد: إن بعض القرآن حق موافق للتوراة وبعضه غير ذلك فاقتسموه وعضوه . وفى آية الأنفال : أوحينا إليك قسمة الأنفال بحق وهم له كارهون كما أخرجك ربك من بيتك بالحق لاعتراض العير سببا فى غزوة بدر الظافرة وكانوا لذلك كارهين . ووجه الشبه : ظهور الحق وجليل أثره بعد كرههم له .

وفى آية القيامة : بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره لاتحرك به لسانك »[2] فيه عارض من حال دعت الحاجة إلى ذكره كما ذكر الخطابى : كقولك للرجل وأنت تحدثه فيشتغل عنك بما يظلمه مهما : أقبل على وتحوه ثم تصل حديثك ولاتكون بذلك خارجاً عن الكلام بل مستوصلا له، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أميا لايقرأ وكان إذا نزل القرآن يحرك به لسانه مخافة أن يتفلت منه كما روى عن ابن عباس فقيل له تفهم مايوحى إليك ولا تتقلبه بلسانك فإنا نجمعه لك

---

(١) الانفال ٥

(٢) القيامة ١٤ ــ ١٨ .

وتحفظه عليك [١] وقد جمع الزركشى معظم الآيات المشكلة وردود العلماء والعلماء أيضاً يذكرون حسن التخلص بالخروج من الكلام إلى كلام ـ كما ذكر ابن الأثير ـ لطيفة تلاؤم الكلامين السابق واللاحق، وقد رد ابن الأثير كما رد غيره على أبى العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمى ، وكان من فضلاء عصره وشعراء نظام الملك وقد رأى أن كتاب الله خال من التخلص وأنه وقع على الاقتضاب . وقريب منه رأى العز بن عبد السلام أنه إذا اختلفت أسباب النزول فالربط بين الآى ضرب من التكلف وبخاصة أن القرآن نزل فى نيف وعشرين سنة .

وممن نفخ فى فكرة الاقتضاب وجعلها وادياً من أودية البلاغة بعد الغانمى الإمام العلوى ، وأساس الفكرة عنده أن الاقتضاب فى شعر القدماء من البلاغة وكتاب الله لا واد من أودية البلاغة إلا وهو أخذ منه بنصيب [٢] وهو رحمه الله لم يلحظ فارقا هنا بين البلاغة البشرية والبلاغة القرآنية تلك التى كان التلاؤم والتناسب وتداخل الآيات والسور مع أنها نزلت فى نيف وعشرين عاما سببا من الإعجاز القارع وأنه من عند الله تعالى ، وقد أخذ المعاصرون على القدماء الفصل بين المعانى وعدم التناسب بينها والبعد عن الوحدة الفنية والنفسية فى القصيدة اضطرابا فى الفكر أو خللا أو فتورا فى الطبيعة أو توزعا للحس وما إلى ذلك . وقد رد بعض المنصفين

---

(١) راجع فى الآيات بيان اعجاز القرآن للخطابى ٥١ ، ٥٢ وتفسير الكشاف ، ١/١٤٣ ، ١/٣٩٨ ، ٤/١٩١ .

(٢) راجع المثل السائر ٣/١٥٣ والطراز ٢/٣٣٠ ، والبرهان ١/٤٣ والنبأ العظيم ١٦٠ .



بأن ما يعد اقتضابا عند كبار الشعراء الجاهليين وهم لا يفوتهم ذلك ـ راجع إلى الرواية والرواة وسقوط أبيات من الحفظ، والقضية ذات شجون .

المهم أن جمهرة العلماء رفضوا تماما فكرة الاقتضاب هذه لأنها مناقضة للتلاؤم والتناسب ولقول الله عن القرآن « ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون » (١) وقوله سبحانه « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » (٢) .

الوصل بحروف العطف :

وحروف العطف غير الواو ، كالفاء وثم وحتى ولكن ولا وبل ، لها معان خاصة كالترتيب والتعقيب والترتيب والتراخي والغاية والاستدراك والنفي والاضراب. وهذه الحروف بمعانيها التي تقتضيها المقامات وسائل ربط أمرها بين غير مشكل .

أما الواو التي لا تفيد ترتيبا ولا تعقيبا بل هي لمطلق الجمع أو مطلق التشريك في الحكم فهي تحتاج دقة وصعوبة وذكاء بشرط يعرف أسرار الكلام ومتى يقتضي ذكر الواو أو حذفها .

وهنا أمران مهمان :

الأول : أن توزيع حرف العطف في القرآن من الواو أو الفاء أو ثم واقع موقعه من الدقة والتلاؤم والإعجاز .

والثاني : أن تبادل الواو مع الفاء في عديد من الآيات التي تدخل تحت المتشابه والمتناظر ، يحتاج ذكاء خاصاً، وعلما ملهما، في بيان أسراره

---

(١) الأعراف ٥٢.   (٢) هود ٢ .



والأمران معا فى حاجة إلى بحث مستقص متأنٍّ على المنهج الذى نفضل للافادة العلمية التامة ، وقد نجد أن ابن الأثير وتبعه العلوى ذكر شواهد للامر الأول، وأن الاسكافى والكرمانى والرازى وبعض المفسرين ذكروا شواهد للأمر الثانى واكتفى بنقل ذلك أو بعضه البحث البلاغى المعاصر تحققا والأمر كما أسلفت فى حاجة إلى بحث عميق متريث ومراجعة دقيقة نرجو الله أن ييسر لنا أو لإخواننا الأسباب .

من الأمر الأول ذكره ابن الأثير وتبعه العلوى فى قول الله تعالى «والذى هو يطعمنى ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين »[1]

فعطف السقى على الاطعام بالواو إرادة الجمع بينهما وعطف الشفاء على المرض بالفاء لأن الشفاء يعقب المرض بلا زمان خال من أحدهما ، ثم عطف الثالث بثم لأن الأحياء بعد الموت إنما يكون بمهلة وتراخ [2] .

وقول ابن الأثير والعلوى إن تقديم الإطعام على الإسقاء والإسقاء على الإطعام جائز لولا مراعاة حق النظم ليس دقيقا لأن الاستعمال القرآنى قدم الطعام على الإسقاء والأكل على الشرب أبدا فهو ترتيب بالطبع والأهمية والوظيفة الحيوية، ففكرة الجواز مرفوضة وتعبير الإمام العلوى بأن مراعاة حسن النظم والمشاكلة أوجب ذلك يلم بشىء من أسرار التقديم هنا ولا يستوفيها ثم إن قول ابن الأثير إن الشفاء يعقب المرض بلا زمان خال من أحدهما مما يثير العجب فى موقف ابن الأثير الذى يشن حربا على الإغراق

(١) الشعراء الآيات ٧٩ ــ ٨٢ .

(٢) راجع المثل السائر ٢/٢٦٠ والطراز ٢/٤٢

العقلي والفلسفي في معالجة البلاغة ثم ينسى هو ذلك أحيانا، لأنه لا يمكن أن ينفصل عن ثقافة عصره طوعا أو كرها، ولقد عدل العلوى هذا التعبير. ونقل عن الرازى ما يفيد مع تعقيب الشفاء المرض التنبيه على عظم المنة بالعافية بعد المرض من غير تراخ . والواقع أن هذا مقام ثناء على الله تعالى بتعداد نعمه التى توجب عبادته تعالى، ثم تمهيدا للدعاء الضارع، ولقد أسند إبراهيم عليه السلام المرض إلى نفسه حسن أدب وإيماء إلى ما فى التفريط فى المأكل والمشرب من أسباب المرض(١) .

وأسند الشفاء إلى ربه بضمير الفصل بالفاء أملا فى الشفاء المحبوب وإسراعا بتعديد النعم، وثناء على الله باقتداره على الشفاء العاجل . فالفاء لم تفد تعقب الشفاء للمرض فحسب بل أفادت مع إذا أن المرض قصير تتدارك رحمة الله . بشفاء سريع لا يطول بعده المرض . والواضح من آيات الشعراء ارتباط التغاير فى حروف العطف بالترتيب الزمنى طولا وقصرا بثم والفاء وبإرادة الجمع بالواو مع الترتيب أيضا المؤدى بالتقديم أعنى تقديم بعض العبارات أو الألفاظ على بعض . وهذا الترتيب التزمه القرآن كما سنعالج ذلك قريبا إن شاء الله .

وقال تعالى : « قتل الإنسان ما أكفره من أى شىء خلقه من نطفة خلقه فقدره ، ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره . ثم إذا شاء أنشره »(٢) .

فعطف التقدير بالفاء دون ثم لأن التقدير تابع للخلقة ملازم لها

---

(١) راجع الرازى ٢٤/١٤٥ وأبا السعود ٦/٢٤٩ .

(٢) عبس الآيات ١٧ — ٢٣ .

وذلك بخلاف قوله « ثم السبيل يسره » لما بين الخلق وتيسير السبيل وهو الهداية من التراخي والمهلة ، وكذلك عطف الإماتة بثم ، والبعث أيضا وهو الإنشار ولما لم يكن بين الأقبار والموت مهلة جاءت الفاء[1] وفي قوله تعالى « ثم إذا شاء أنشره » بثم وإذا داخلة على فعل المشيئة لبيان مدة البرزخ الطويلة وأن البعث أمر محقق وإشعار بأن وقت البعث غير معلوم لنا على التعيين ولم يقل : « فقبره » لأن القابر هو الدافن بيده والمقبر هو الله تعالى يقال : قبر الميت إذا دفنه ، وأقبر الميت : إذا أمر غيره بأن يجعله في القبر[2]

وقول صاحب الطراز إن قوله : من نطفة خلقه من غير واو لأنها واردة على جهة التفسير لقوله : من أي شيء خلقه ؟

يعني أنه بيان وجواب للاستفهام التقريري .[3]

ومما جاء من ذلك قوله تعالى من قصة مريم وعيسى عليهما السلام « فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً »[4] والفاء هنا تدل على توالي الأحداث وأن كل واحد من هذه الأحوال حصل عقيب الآخر من غير مهل وهذا يؤيد رأياً لابن عباس رضي الله عنهما أن مدة الحمل كانت ساعة واحدة

---

(١) راجع المثل السائر ٢/٢٦٠ والطراز ٢/٤٣ .

(٢) راجع تفسير الرازي ٣١/٦٠ ، ونظم الدرر للبقاعي ٢١/٢٦٢ .

(٣) راجع الكشاف ٤/٢١٩ والرازي ٣١/٦٠ والبحر ٨/٤٢٨ وأبا السعود ٩/١١٠ .

(٤) مريم ٢٢ ، ٢٣ .

قال الرازى لأن الله تعالى قال فى وصف عيسى « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » وهذا مما لا يتصور فيه مدة الحمل وإنما تعقل تلك المدة فى حق من يتولد من النطفة .

وذكر ابن الأثير معنى ذلك ويبدو التفاته إلى رأى الرازى وإن لم يشر إليه وأن هذه الآية مزيلة للخلاف لأنها دلت صريحا أن الحمل والوضع كانا متقاربين على الفور من غير مهلة، وربما كان فى يوم واحد أو أقل.

والواضح أن الآية مرجحة لأن الخلاف وقع عند تأويلها لأن التعقيب والفور أمر نسبي ويكفى أن الرأى الثانى لابن عباس أن مدة الحمل كانت تسعة أشهر لاسيما أن الانتباذ فى مكان قصى يقتضى وقتا وإن كان يسيرا كما رجح الرازى[1] .

ومن الأمر الثانى الذى تلتبس فيه الفاء بالواو ، كما ذكر ابن الأثير قوله تعالى : « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا »[2] ذلك أن الفعل أغفلنا ظاهره ملتبس بفعل المطاوعة الذى لا يعطف عليه إلا بالفاء دون الواو كقولك أعطيته فأخذ ودعوته فأجاب إلا أن معناه مخالف لمعنى فعل المطاوعة لأن معنى أغفلنا : صادفناه غافلا وليس منقولا عن غفل حتى يكون معناه : صددناه لأنه لو كان كذلك لكان معطوفا عليه بالفاء ، وقيل فاتبع هواه لكن طريقه أنه لما قال : « أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه » أن يكون معناه وجدناه غافلا فقد

---

(١) راجع الطبرى ٦/٤٧ والرازى ٢١/٢٠٢ والمثل السائر ٢/٢٦١
(٢) الكهف ٢٨

غفل لامحالة فكأنه قال ولا تطع من غفل قلبه عن ذكرنا واتبع هواه أى لاتطع من فعل كذا وكذا يعدد أفعاله التى توجب ترك طاعته »[1]

وتفسير ابن الأثير للفعل : أغفلنا بمعنى صادفنا لابمعنى صددنا وأن ظاهره مطاوعه وباطنه غير ذلك تكلف شديد وتحس كأنه يساور محالا . ومع أن العلوى كثير النقل عن المثل السائر ، تجاوز هذا الموضع كغيره مما لم يصل حد الاقناع ولم يقع فيما وقع فيه بعض المؤلفين المحدثين من نقل دون تمحيص .

ومعنى أغفلنا قلبه عند المفسرين : شغلنا قلبه من الكفار الذين سألوك طرد الرهط الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ، أى شغلنا قلبه بالكفر عن الذكر وغلبه الشقاء واتبع هواه أى آثر هوى نفسه وترك أمر الله ونهيه وهذا عند الطبرى[2] وعموما قال أهل السنة : معنى الإغفال : إيجاد الغفلة والضلال وخلقها فيهم إذ أفعال العبد تضاف إلى الله تعالى من حيث كونه مخلوقا لله ، وقد تضاف إلى العبد لأنه المباشر لها المقرونة بقدرته واختياره كما يجيز أهل السنة أن يكون معنى أغفلنا قلبه : تركه غير سمة أى لم نسمه بالذكر ولم نجعله من الذين كتبنا فى قلوبهم الإيمان ونسب أبو حيان هذا الرأى للامام الرمانى المعتزلى وذكره فى الكشاف دون نسبة وقالت المعتزلة معنى : أغفلنا : وجدناه غافلا بالخذلان والتخلية بينه وبين الأسباب المؤدية إلى الغفلة يؤيده قوله : واتبع هواه ، بالواو دون

---

(١) المثل السائر ٢/٢٦٣ .

(٢) راجع الطبرى ١٥/١٥٦ .

الفاء إذ لو كان اتباع الهوى من نتيجة خلق الغفلة فى القلب لقيل فاتبع هواه بالفاء . ويمكن أن يجاب كما نقل النيسابورى عن الرازى ملخصا : بأنه لايلزم ذلك إذ الملازمة بين الغفلة عن ذكر الله وبين متابعة الهوى غير تامة فقد يكون الإنسان غافلا عن الذكر متوقفا عنه دون اتباع الهوى[١] بل نلحظ أن إتباع الهوى مصاحب لإغفال الله بمعنى الإضلال ومن ذلك يتبين أن ابن الأثير رحمه الله نقل من مناقشات الرازى ، والتقط مايتصل بالفاء والواو وكان رجلا كاتبـا ناقدا بعيدا عن أفكار الفرق الإسلامية ولذا نقل فكرة الاعتزال بحسن نية . ولما أراد التحليل شاع الغموض والتكلف والتداخل فى شرحه، فمرة يجعل إغفالنا: صادفنا وهو تعبير جرىء غريب ومرة يجعل أغفلنا المتعدى بمعنى غفل قلبه إغفالا ، لأسرار التعدية ودلالة كل فعل منهما ومناسبته لمقامه الخاص به ، والحق ماقدمنا .

والواقع أن لتنوع حروف العطف بين الآيات المتشابهات شأنا وخطراً فى القرآن الكريم سواء كان اختلاف الحرف فى داخل الآية والنسق أم فى بدئها فقد تأتى الواو فى آية والفـاء فى مثيلتها أو الفاء فى آية وثم فى أختها أو تأتى الآية بالواو فى نسق وبدون الواو فى نسق آخر وكل أولئك فى دقة معجزة وتلاؤم خارق وتصور عال لما يقتضيه المقام . وأمثل من أورد عديداً من هذه المتشابهات فى أسلوب رقيق دقيق الإمام الكرمانى فى

(١) راجع فى الآية : غرائب النيسابورى على الطبرى ١٤٦/١٥ والكشاف ورد الانتصاف عليه ٤٨٢/٢ والبحر المحيط ١٢٠/٦ وأبا السعود ٢١٩/٥ .



أسرار التكرار فقد أوفى على سابقه الاسكافى فى حسن التعبير والدقة وكان مصدرا للفيروزبادى والسيوطى وكثير من المفسرين .

ونزجى هذه الشواهد على ما أسلفنا . فمما تعاورت فيه الواو والفاء ماجاء فى قول الله تعالى من سورة البقرة ٣٥ « وقلنا يا أدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما » بالفاء فى الأعراف والواو فى البقرة إذ الفعل اسكن فى البقرة من السكون الذى معناه : الإقامة وهـذا يستدعى زمنا ممتدا فلم يصلح إلا بالواو لأن المعنى أجمع بين الإقامة فيها والأكل من ثمارها .

ولو كان الفاء مكان الواو لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة لأن الفاء للتعقيب والترتيب ، والذى فى الأعراف من السكنى الذى معناها : اتخاذ الموضع سكنا بدليل أن الله أخرج إبليس من الجنة بقوله « اخرج منها مذموما » وخاطب آدم فى الآية بعدها — ١٩ — فقال « يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة » أى اتخذاها لأنفسكما مسكنا (فكلا من حيث شئتما) فكانت الفاء المسكن لايستدعى زمانا ممتدا ولايمكن الجمع بين الاتخاذ والأكل فيه بل يقع الأكل عقيبه ثم لما عظم شأن القول فى البقرة ، بقوله « وقلنا » بناء العظمة والجلالة جاء فى البقرة الكلمة « رغـدا » تناسبا وتلاؤما بخلاف سورة الأعراف إذ فيها « قال » وذكر الإسكافى والرازى أن كل فعل عطف عليه شىء ، وكان الفعل بمنزلة الشرط وذلك الشىء بمنزلة الجزاء عطف الثانى على الأول بالفاء دون الواو كقوله تعالى « وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا » البقرة ٥٨ فعطف :

كلوا على ادخلوا بالفاء لما كان وجود الأكل منها متعلقا بدخولها فكأنه قال : إن دخلتموها أكلتم منها ، فالدخول موصل إلى الأكل ، والأكل متعلق وجوده بوجوده يبين ذلك قوله تعالى فى مثل هـذه الآية من سورة الأعراف ١٦١ « وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم » بالواو دون الفاء لأن اسكنوا من السكنى وهى المقام مع طول اللبث ، والأكل لايختص وجوده بوجوده لأن من دخل بستاناً قد يأكل منه وإن كان مجتازا ، فلما لم يتعلق الثانى بالأول تعلق الجزاء بالشرط وجب العطف بالواو دون الفاء ثم إن الخطاب فى الآية الأولى « اسكن » لآدم بعد دخوله الجنة مرادا به الاستقرار والأكل يتعلق به فلا جرم ورد بلفظ الواو وفى سورة الأعراف هذا الأمر إنما ورد قبل دخوله الجنة والأكل يتعلق به فلا جرم ورد بلفظ الفاء [1]

ومما تنزل فيه الفعل من سابقة منزلة الجزاء من الشرط نعطف بالفاء قوله تعالى من سورة التوبة « ومامنعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولايأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولاينفقون إلا وهم كارهون فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم » ٥٤ ، ٥٥ .

أى إن يـكن ذلك منهم فاذكر جزاؤهم وأعان على ذلك كون الفعل « ولا يأتون » ومابعـده مستقبلا يتضمن معنى الشرط فكان حرف الفاء هنا أحسن موقعا من الواو . وقد جاء بالواو فى الآية بعدها « ولاتصل على

---

(١) راجع فى الآيتين درة التنزيل ١١/١٧ وأسرار التكرار ٢٥ ، ٢٨ وتفسير الرازى ٣/٤ وأبا السعود ٣/٢٢٠ .



أحد منهم مات أبدا ولاتقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ، ولاتعجبك أموالهم وأولادهم » ٨٤ ، ٨٥ لأن كفروا بلفظ الماضى ومعناه والماضى لايتضمن معنى الشرط ولايقع من الميت فعل فى قوله « مات» فكان الواو أحسن . (١)

وذكر الإمام الرازى وجها آخر هو أن فى الآية الأولى ٥٥ إنما ذكرها بعد قوله « ولاينفقون إلا وهم كارهون » وصفهم بكونهم كارهين للانفاق وإنما كرهوا ذلك الإنفاق لكونهم معجبين بكثرة الأموال فلهذا المعنى نهاه الله عن ذلك الإعجاب بفاء التعقيب فقال « فلا تعجبك »وأما فى ٨٥ فلا تعلق لهذا الكلام بماقبله فجاء بحرف الواو ويعنى الرازى بنفى التعلق الترتب والتسبب والتعقيب ، إذ بين الآيتين تناسب قوى أوجب العطف بين الآيتين من حيث إنهما إنشائيتان وأهم منه أن الآية الأولى ٨٤ أثبتت كفرهم وموتهم على الفسق ، والآية الثانية تبين أن ما كان من أسباب فتنتهم وهو المال والولد هو فى الحقيقة سبب عذابهم وتشديد المحنة عليهم وإذا كان الخطاب مراد به كل المؤمنين مع أنه فى الظاهر للنبى صلى الله عليه وسلم ، فلذلك ليحسم أمرا هاما هو أن الكفر يجعل كل خير فى الظاهر بلاء وعذابا فى الآخرة ، فلا خير مع الكفر ، وأن الإيمان هو المطلب والغاية والخير الباقى ، والدنيا إن جاءت للمؤمنين كانت فى خدمة الإيمان وتحت الأقدام لا فى القلب والعين ونظيره قوله تعالى « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا ... الآية » طه ١٣١

---

(١) راجع أسرار التكرار ٩٧ والرازى ١٦/٩١ ، ١٥٥ .

وبين الآيتين ٥٤ ، ٥٥ والآيتين ٨٤ ، ٨٥ اختلافات في التعبير وتفاوت في بعض الألفاظ بين أسراره الكرماني والرازي .

ومثل ذلك قوله تعالى في سورة هود في قصة هود وشعيب « ولما جاء أمرنا نجينا هوداً » « ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً » ٥٨،٩٤ وفي قصة صالح ولوط « فلما » ٦٦، ٨٢ بالفاء .

ذلك أن العذاب في قصة صالح ولوط وقع عقيب الوعيد فإن في قصة صالح « تمتعوا في داركم ثلاثة أيام » ٦٥ . وفي قصة لوط : « أليس الصبح بقريب » ٨١ فجاء حرف الفاء للتعجيل والتعقيب ، أما في قصة هود وشعيب فقد تأخر العذاب عن وقت الوعيد فإن في قصة هود « فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوما غيركم » ٥٧ وفي قصة شعيب « سوف تعلمون » ٩٣ قال الكرماني والتخويف قارنه التسويف فجاء بالواو المهملة [1]

ومما أخذ من العلماء اهتماما همزة الاستفهام الإنكاري تارة تدخل على الكلام مباشرة دون عاطف فاصل وتارة تدخل وبعدها واو ، أو فاء ، وبين هذه الحالات فروق دقيقة . قال الرازي مفرقاً بين قول القائل (أزيد في الدار بعد وقد طلعت الشمس) وبين (أزيد في الدار بعد وقد طلعت الشمس) الواو إشارة خفية لى أن قبح فعله صار بمنزلة فعلين قبيحين ، كأنه يقول : أغفل وهو في الدار بعد ، لأن الواو تنبئ عن عطف أمر مغاير لما بعدها ، وإن لم يكن هناك سابق لكنه يومئ بالواو اليه ، زيادة في الإنكار .

---

(١) راجع أسرار التكرار ١٠٨ .

أما الفرق في التعبير بين ما فيه الواو ، وما فيه الفاء كقوله تعالى : «أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج » ق ٦ وقال في الأعراف ١٨٥ « أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض » لأنه سبق منهم إنكار البعث بقولهم « ذلك رجع بعيد » ٣ في سورة ق فعقب على قولهم بالاستفهام الإنكاري والفاء دفعا وردا واستبعادا لاستبعادهم دون آية الأعراف التي لم تسبق بانكار بل جاءت الآية تنعى عليهم ترك النظر في الكون بعد آية توبخ على ترك التفكر في شأن صاحبهم وأحواله صلى الله عليه وسلم ، وأنه نذير مبين « أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين » ١٨٤ الأعراف[1] .

ثم إن موافقة النسق هام جداً في تعيين الحرف واوا أو فاءاً ففي الآية « أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم » الروم ٩ سبقت بالآية « أو لم يتفكروا في أنفسهم » ٨ وجاء بعدها جملة معطوفة بالواو « وأثاروا الأرض وعمروها » ٩ . موافقة لما قبلها وما بعدها .

وكذلك آية فاطر ٤٤ وغافر ٢١ « أو لم يسيروا في الأرض » لوقوعهما في نسق عطفت جملة بالواو . أما آية غافر آخر السورة « أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم » ٨٢ فقد وافقت ما قبلها وما بعدها وهما بالفاء وهو قوله « فأي آيات الله تنكرون » ٨١ وبعده

---

(١) راجع تفسير الرازي ٢٨/٢٥٥



« فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون »[1] .

ثم إن المقام وراء تغاير الحرف ترتيبا وتعاقبا متلاحقا بالفاء ، وجمعا ومجردا دون تعاقب بالواو . وإذا أريد الإمهال جاءت ثم بدل الواو .
وتأمل قوله تعالى : « قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد » فصلت ٥٢ .

وقوله تعالى فى الأحقاف ١٠ « قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم » والتعبير إن كان من عند الله . أي القرآن أظهره فى صورة الاحتمال وهو من عند الله دون شك ، منزلا معهم فى الخطاب واستدراجا فى الحجة . والمعنى فى آية فصلت : كان عاقبة أمركم بعد الإمهال للنظر والتدبر الكفر ، وهو كفر لا دليل عليه فحسن دخول ثم كما يقول الكرمانى ويدعمه أنه عبر عنهم بقوله « من هو فى شقاق بعيد » وبعد الشقاق والضلال مناسب لهذا التراخي والجهل بثم الذى يعقبه كفر بواح[2] تنديدا وتبكيتا .

وأما آية الأحقاف فلم تكن عاقبة أمرهم الكفر وحده بل عطف عليه « وشهد شاهد » فلم يكن للمهلة موضع فجاء بالواو . وفى الآية حذف الشرط أى ألستم أضل الناس وأظلمهم أو من أضل منكم وهذا على أن الواو فى « وكفرتم به » للعطف على كان . أما إذا كانت للحال ، فالموازنة بين مطلق الواو وثم .

---

(١) راجع أسرار التكرار ١٦٦ .
(٢) راجع فى اختلاف الحرف أسرار التكرار ١٩٠ وفى صياغة الآيتين الرازى ١٣٨/٢٧ ، ٩/٢٨ والبحر ٥٠٥/٧ وأبا السعود ٨٠/٨ .

مفهـــوم الواو :

والواو العاطفة فى اللغـة العربية الربط بين المتعاطفين والتشريك فى الحـكم الإعرابى على إطلاقه : أعنى فى مطلق الفاعلية أو المفعولية أو غيرهما فقولك : جاء زيد وبكر ، تشرك الواو بكرا مع زيد فى فعل المجىء . أما كون الفعل قد حدث بالتساوى بينهما أو على قدر من الاختلاف والتغاير كقوله تعـالى : « والله ورسوله أحق أن يرضوه » . « آمن الرسول بمـا أنزل إليه من ربه والمؤمنون » فهذا خارج عن دلالة الواو ويفهم من السـياق بل إن الواو كما يقـول المرحوم الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى « الواو مفهوم أساسى ذهنى لا وجود له خارج الذهن ، وهو من قبيل اللامعرفات »[١] .

يريد أن فـكرة الجمع والتشريك ذهنية ليس لها واقع زمنى فى الخارج بخلاف الفاء أو ثم ، فلهما واقع ذهنى وواقع زمنى وحدثى خارجاً . وقولهم إن الواو لاتفيد ترتيبا ولاتعقيبا لايعنى أبداً أنها تأتى فى أساليب لاترتيب بين أحداثها ، إذ هـذا الترتيب بين الألفاظ أو الجمل فى القرآن الـكريم يخضع لموازين دقيقة وأسباب قوية ، إذ تقديم الكلام فى اللسان على حسب تقدم المعانى فى النفس والمعانى تتقدم عند السهيلى — وعنه نقـل الرازى والزملـكانى والعلوى — بأحد خمسة أشـياء : بالزمان كتقديم عاد على ثمود ، أو الطبع كمثنى وثلاث ، أو الرتبة كـ« هماز مشاء بنميم » ، لأن الهماب

---

(١) راجع نتائج الفكر ٢٦٦ — ٢٧٥ وتفسير الرازى وقد جعلها ستة ٢٩/٢٠٩ والطراز ٢/٥٧ .



لا يحتاج إلى الحركة بخلاف الثانى ، ومنه « يأتوك رجالا وعلى كل ضامر »
أو الفضل والشرف نحو « فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق » ومنه
تقديم السماء على الأرض .

وربما كان ترتيب الألفاظ بحسب الخفة والثقل كتقديم ربيعة على
مضر ، مع أن مضر أفضل ، والجن على الإنس ، لأن تقديم الأثقل أولى
لنشاط المتكلم وجمامه[1] .

وقد يجتمع أكثر من سبب ويقدم إحداها لاقتضاء المقام كقوله تعالى
عن الحور العين « لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان » والجن لا يتناول الملائكة
فالتقديم هنا للشرف والفضل تناسبا مع تكريم المنعمين ، وقدا فقد يتخلف
الترتيب الزمنى فى بعض الآيات التى جاءت فيها الواو كقوله تعالى :
« واسجدى واركعى مع الراكعين »[2] والركوع قبل السجود قال الزركشى
لم ينقل أن شرعهم كان مخالفا لشرعنا فى ذلك وقال تعالى : « سخرها
عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما »[3] والأيام هنا قبل الليالى . إذ لو كانت
الليالى قبل الأيام كانت الأيام مساوية لليالى وأقل . قال الصفار « لا يصح
جعل الواو للترتيب »[4] .

والخمسة الأسباب التى توجب التقديم تنامت عند العلامة الزركشى إلى

(١) آل عمران ٤٣ (٢) راجع البرهان ٤/٢٣٦
(٣) الحاقة ٧ (٤) راجع البرهان ٤/٢٣٦

خمسة وعشرين سببا مقتضيا للتقديم والترتيب . وإذا رجعت إلى هذه الأسباب وجدت منها ما كان راجعا إلى العقل كالتقدم بالسبق والذات والعلة ، وما كان راجعا إلى اللفظ خفة على اللسان ، أو رعاية للفاصلة أو الاشتقاق ، ولا بد أن يكون معه سر بلاغى ، ومعظم الأسباب راجع إلى نواح فنية بلاغية كالتعظيم والشرف والاهتمام والترقى والتحذير والتخويف والحث والتعجيب من شأنه ودلالته على القدرة إلى غير ذلك مما بسطه الإمام الزركشى وحلله وحل مشكله وكشف النقاب عن أسراره العالية[1] وما ذكره السهيلى والزركشى « يدحض قول من يدعى أن القواعد البلاغية وبخاصة فى الترتيب جرت على أساس منطقى بعيدا عن الأسرار الجمالية وجود يفتح آفاقا متكاثرة للتعابير الفنية .

الواو بين المفردات :

الوصــل بالواو يعنى عطف المفردات بعضها على بعض وعطف الجمل التى لها محل من الإعراب ، وتقع موقع المفرد . والجمل التى لا محل لها من الإعراب . وقد قصر الإمام عبد القاهر تحليلاته على الجمل التى لا محل لها من الإعراب فى فصلها ووصلها بالواو ، لأنها التى تحتاج دقة وصعوبة فى التفهم وذكاء فى المعرفة ، لأن فى بعض أساليبها غموضا . وكان رحمه الله يحاول بكل ما وهبه الله من طاقات أن يفك مغاليق هذا الفن ويرمى بعقله وذوقه فى دروبه البكر ومجاهله العذراء ، تاركا عطف المفردات

---

(١) راجع البرهان ٣/٢٣٩ ـ ٢٧٥ .

إلا لأنها لا بلاغة فيها ، فالبلاغة بين المفردات ـ كما يرى السيد والعصام ـ كالبلاغة بين الجمل[1]. بل لأن أمرها ـ فى الأغلب ـ واضح غير مشكل. والعلماء يقولون إن معرفة الفصل والوصل فن عظيم ، صعب المسلك ، دقيق المجرى ، عظيم الخطر لا يعرفه على وجهه ولا يحيط به علما إلا من أوتى ـ فى فهم كلام العرب ـ طبعا سليما ورزق ـ فى إدراك أسبابه ـ ذوقا صحيحا ، ولذا قصر بعض العلماء والبلغاء ـ على جهة المبالغة ـ البلاغة على معرفة مواطن الفصل والوصل .

وقد سار على درب الإمام ، الخطيب القزوينى وشروح التلخيص[2] .

وفى المقابل وجدنا حشداً من العلماء يعالج الفصل والوصل بين المفردات والجمل بالواو وغيرها من حروف العطف ، ذلك أن الأجيال المتأخرة من أبناء العربية لم يعد لهم ذوق اللغة وعبقريتها إلا شذرات لاتغنى غناء فى التعرف على أدب أو شعر أو فكر أو مايهذب الروح ويشذب العقل .

ومن هنا وجدنا السكاكى وابن الأثير والسهيلى والزملكانى والعلوى والزركشى والسيوطى ، ثم وجدنا المفسرين سباقين إلى التعرف على أسرار الوصل والفصل بين المفردات والجمل فى النسق القرآنى ـ حسب الطاقة ـ وقد أوفى على الغاية الإمام الرازى وعنه أخذ النيسابورى وأبو السعود والبيضاوى والبقاعى بل حاولوا مع علماء المتشابه وأشهرهم الإسكافى والكرمانى والرازى أيضا يبالغون فى الاهتمام بتغير الحروف فى النسق المتشابه ، كما وضحنا فى الشواهد السابقة .

---

(١) راجع المطول ٢/٢ .

(٢) راجع بغية الايضاح ٦٢/٢ وشروح التلخيص ٦/٣ .

وإن تعجب فعجب أن يقول بعض المؤلفين فى هذا الصدد « شغلت البلاغة العربية بتحليل أساليب العطف فى إطار من قضية عطف الجمل ، وانصرفت بذلك فى صبغتها الجرجانية الشهيرة التى سيطرت على التفكير البلاغى حتى العصر الحديث عن عطف المفردات » ويقول :

«أول مايلفت النظر فى تحليل البلاغيين لأساليب العطف هو اهتمامهم بعطف الجمل دون عطف المفردات » « وبذلك سقط موضوع أساسى من مباحث البلاغة العربية هو مبحث عطف المفردات » ، وبعد أن لام كثيرا من المفسرين وأشاد ببعضهم كابن جزى الكلبى حين تنبه إلى دقائق عالية من بلاغة العطف فى بعض الآيات » ونكتفى بنقل هذه الأنفية مفرد الأثناف بقول « إن المناسبة الوحيدة — فيما أعلم — والجيدة — فيما أظن — التى تناول فيها يحيى العلوى اليمنى صاحب كتاب « الطراز » فى القرن الثامن الهجرى فكرة عطف المفرد — استدراكا على ماذهبت إليه البلاغة العربية من الالتفات عن موضوع عطف المفردات — تعود — متأثرة بمنهج البلاغيين فى باب الفصل والوصل — فتبحث علاقة المفردات على هذا الأساس الجرجانى » ، ثم ينقل ماذكره الإمام العلوى فى عطف الصفات الالهية وفصلها[1] . ومآخذنا على مانقلناه من كلامه كثيرة نكتفى بإيراد بعض منها متجاوزين عن الأخطاء الأسلوبية :

١ — تعميمه الحكم على البلاغة العربية بأنها شغلت بعطف الجمل يعنى التى لامحل لها دون عطف المفردات تجاوز خاطئ وإطلاق جائر وكان

(١) راجع « بلاغة العطف فى القرآن الكريم : دراسة أسلوبية » د. عفت الشرقاوى ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٤ ، ١٢٨ .



ينبغى أن يعود إلى المفتاح والمثل السائر ونتائج الفكر والتبيان للزملكانى بله الحواشى والتقارير كتقرير الانبابى .

٢ — جار على المفسرين أيضا وأنصف ابن الكلبى وتفسيره موجز جدا فى أربعة مجلدات وأغفل عمالقة التفسير المهتمين بفكرة التناسب كالرازى والنيسابورى والبقاعى .

كما ضرب صفحا عن المؤلفات الشامخة فى علوم القرآن وأشهرها البرهان للزركشى والاتقان ومعترك الأقران للسيوطى .

٣ — يقدم لنا الطراز للعلوى فى شكل اكتشاف خارق وافتتاء وغرور واستعلاء مقولة « المناسبة الوحيدة — فيما أعلم — والجيدة — فيما أظن — » « وتأمل هذه الاعتراضات المثيرة » التى تناول — (وتأمل الفصل التعسفى بين الصفة (التى — والموصوف — المناسبة) فيها يحيى العلوى اليمنى صاحب كتاب الطراز فى القرن الثامن الهجرى فكرة عطف المفرد » إنه أشبه باكتشاف وأبناؤنا الطلاب يعلمون حق العلم أن العلوى — رحمه الله — نقل حرفا حرفا عن الزملكانى وهو نقل حرفا حرفا عن السهيلى فى نتائج الفكر ، وأن هذا الموضوع قد استفاض فى كتب المفسرين تجده بتوضيح أكثر عند الامام الرازى ، ثم من بعده كأبى السعود والبيضاوى والشهاب الخفاجى ، وربما كان على المؤلف — غفر الله له — لو راجع بعضا من مصادر التراث قبل هجومه العنيف المتجانف ، وإليك كلمة فى الفصل والوصل بين الصفات ، من المتعالم أن الواو تفيد المغايرة بين المتعاطفين تحقيقا أو تنزيلا

إذ لا يعطف الشيء على نفسه ، وتفيد أيضا : الجمع والتشريك فى الحكم فيما له محل إعرابى وفى الصفات فى القرآن قد تعطف صفة على أخرى ، أو تعطف مجموعة من الصفات على مجموعة أخرى . وقد تتوالى دون عطف[1] :

صفات الله تعالى :

وصفات الله تعالى جاءت غالبا متوالية مفصولة دون عطف لاتحاد محلها فهى تجرى مجرى الأسماء المتقاربة إشارة إلى وحدتها ودلالتها على الذات التى لا تتعدد .

فالصفة تجرى هنا مجرى الموصوف قال تعالى : « الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين »[2] « هو الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ... الآيات »[3] .

---

(١) راجع فى عطف المفردات — مع اختلاف المناهج — المثل السائر ٢٥٩/٢ والمفتاح ٢٤٩ ونتائج الفكر ٢٣٨ — ٢٦١ والطراز ٣٢/٢ والايضاح ٢٤٦ وتقرير الامبابى ١٩١/٣ والبرهان ٤٣٩/٤

والكشاف والرازى والبحر وأبا السعود والشهاب فى آيات الصفات المتوالية بالواو وبدونها كما سيأتى .

(٢) الفاتحة ٢ — ٥ .

(٣) الحشر ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ .

« يسبح لله مافى السموات ومافى الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم »[١] .

وهذه الصفات متسلسلة متسقة لا تخالف بين دلالاتها أو متعلقاتها ، ولذا لم تأت الواو فى معرض أسماء الله الحسنى إلا فى موطنين — حسب علمنا — قوله تعالى : « هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم »[٢] وهى أسماء متضادة المعنى فى أصل وضعها لا تجتمع فى ذات واحدة من وجهة واحدة لأن الشىء الواحد لا يكون ظاهرا وباطنا من وجه واحد مثلا ، رفعا للتناقض وتنبيها على اختلاف الجهة . فكان دخول الواو صرفا لوهم المخاطب — قبل التأمل — عن توهم المحال واجتماع الأضداد[٣] .

وقال الله تعالى أول غافر : « حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير » ١ — ٣

فما سقط منه الواو لاجتماع الصفات والتقائها فى موصوف واحد وتعدادها ، أما الواو بين « غافر الذنب وقابل التوب » فهى لإفادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين أن تقبل توبته فتكتب له طاعة ، وأن يجعلها محاءة الذنوب كأنه لم يذنب ، كما فى الكشاف وقال السهيلى لكونهما

---

(١) الجمعة ١ (٢) الحديد ٣ .

(٣) راجع : الكشاف ٤/٦١ ونتائج الفكر ٢٤٠ والبحر المحيط ٨/٢١٧ وأبا السعود ٨/٢٠٤ والطراز ٢/٣٠٥ وتقرير الانبابى ٣/١٩١ ح ٢/١٤



من صفات الأفعال، ولعله سبحانه فى غيره لأنى نفسه فدخل حرف العطف للمغايرة الصحيحة بين المعنيين ولتنزلهما منزلة الجملتين لأنه سبحانه يفهم العباد على أنه يفعل هذا ويفعل هذا ليرجوه ويؤملوه ، وقد جمع العلوى بين الرأيين . أعنى الزمخشرى والسهيلى[1] .

ووضح الرازى فكرة التغاير بأنه لو لم يذكر الواو لاحتمل أن يقع فى خاطر إنسان أنه لامعنى لكونه غافر الذنب إلا كونه قابل التوب فلما ذكر الواو زال هذا الاحتمال ، لأن عطف الشىء على نفسه محال وزاد أبو السعود تعليلا آخر هو تغاير موقع الفعلين لأن الغفر هو الستر مع بقاء الذنب ولذلك لمن لم يتب فإن التائب من الذنب كمن لاذنب له أما شديد العقاب ذى الطول فقد سقطت الواو إشعارا باستقلال الصفات واجتماعها من غير جامع كما يرى الشهاب والامبابى .

ورأى الكشاف بافادة الجمع بين رحمتين أظهر لأن الوصفين يمالجان فكرة واحدة أو صفة شاملة هى رحمة الله الواسعة ثناء عليه تعالى وحثا على التوبة وقد تقدمت صفة الرحمة على مقابلها شديد العقاب مع مافيه من تحذير وترهيب إشارة إلى سعة رحمته وأنها سبقت غضبه[2] ثم إن شدة العقاب راجعة إلى معنى القوة والقدرة وهو معنى خارج عن صفات الفعل فصار بمنزلة ماتقدم فى الآية الأولى « العزيز العليم » تلاؤما وكذلك

---

(١) راجع الكشاف ٣/٤١٣ ونتائج الفكر ٢٤٠ والطراز ٢/٣٦،٣٧ .

(٢) راجع تفسير الرازى ٢٧/٢٨ ـ ٢٩ وأبا السعود ٧/٢٦٥ والشهاب ٧/٣٥٧ وتقرير الامبابى ٣/١٩٢ .



قوله « ذى الطول » لأن « ذى » عبـارة عن ذاته سبحانه[1] .

في الصفـات البشرية :

فالصفات البشرية جاءت أيضا بالواو وبدونها قال تعالى : « الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار » آل عمران ١٦ ، ١٧ وقال تعالى « إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات» الآية ٣٥ الأحزاب .

كما جاءت الصفات متوالية دون الواو في نحو قوله تعالى : «فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف ، والناهون عن المنكر ، والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين » التوبة ١١٢ .

وقال تعالى « عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً » التحريم ٥

وجاءت الواو بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر — في آية التوبة — دلالة على أن المتعاطفين بمنزلة خصلة واحدة ثم للتباين بين الأمر والنهي حسن العطف[2] ، وألمح الرازى إلى معنى المشقة والجهاد في الأمر والنهي وتعلقهما بالغير وما يترتب على ذلك نفسيا وسلوكيا فأدخل الواو للتنبيه على

---

(١) راجع نتائج الفكر ٢٤٠ .

(٢) راجع البحر ٥/١٠٤ وأبا السعود ٤/١٠٧ .

ذلك . أما قوله والحافظون لحدود الله أي فيما وضعه الله من الحقائق والشرائع حفظا وعملا ودعوة ، فالعطف لبيان استقلالهم بالصفة ولو فصل لتوهم اختصاص الحفظ للحدود بالنهى عن المنكر وهو غير مراد[1] وكذلك جاءت الواو بين ثيبات وأبكاراً للتغاير بينهما[2] قال الشهاب جاءت الواو الواصلة هنا دون أو الفاصلة لأنه من وصف الكل بصفة البعض يعنى أزواجا بعضهن ثيبات ، وبعضهن أبكارا[3] .

أما الآيات الأولى التى جاءت فيها الواو بين الصفات فلتباين كل صفة من صفة ، إذ ليست فى معنى واحد فنزل تغاير الصفات منزلة تغاير الذات وقد رأى فى الكشاف أن الواو هنا تدل على كمالهم فى كل واحدة منها ورده أبو حيان كما سمى تلك الواو فى موطن آخر واو الجمع[4] .

ومن الواضح أن توالى الصفات فى بعض الآيات ، دون عاطف ، قصداً إلى اجتماع هذه الصفات والتقائها فى موصوف واحد ، دون قصد إلى الاستقلال فى الصفة[5] .

---

(١) تفسيره : ٢٠٥/١٩ .

(٢) أبا السعود ٢٦٨/٩ .

(٣) راجع الشهاب ٢١٣/٨ والبرهان ٤٣٩/٤ وتقرير الانبابى ١٩١/٣ .

(٤) راجع الكشاف ٤١٧/١ ، ٢٦١/٣ والبحر ٢٠٠/٤ وأبا السعود ١٦/٢ ، ١٠٤/٧ .

(٥) راجع البحر ١٠٤/٥ وأبا السعود ١٠٧/٤ ، ٢٦٨/٩ وحاشية الشهاب ٣٥٧/٧ ، ٢١٣/٨ .

وخلاصة القول عند العلماء أن العطف يكون ضروريا فى الاختلاف البين الذى لا يمكن معه الاجتماع دون عاطف كاختلاف الجنسين فى المؤمنين والمؤمنات وتقابل الدلالة بالتضاد كالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر «ثيبات وأبكارا» أو لتوهم معنى غير مراد لو سقطت الواو كما فى «والحافظون لحدود الله» وفى غير ذلك جاءت الصفات بالواو وبدونها[1] لكن السؤال بعد كل ذلك : ما تفسير هذه الظاهرة ؟ وكيف يكون اجتماع الصفات سببا عندهم فى ذكر الواو وحذفها على السواء ؟ أعنى ما الأسرار الفنية البلاغية الكامنة وراء الذكر أو الحذف والمقتضيات الموجبة لذلك ؟

الواقع أننا وجدنا الأعم الأغلب فى نسق الصفات هو ذكر الواو إذا لم يمنع مانع وهـذا هو الأصل . نجد ذلك فى آثار الصفات الإلهية كقوله تعالى « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير » ٢٦ ، ٢٧ آل عمران « الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين » الآيات ٧٨ — ٨١ الشعراء .

ومن صفات الرسول صلى الله عليه وسلم « إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا » الأحزاب ٤٥ ، ٤٦ . وهى صفات خاصة بالنبى الكريم لا ترقى إليها صفات المؤمنين وكثير من الصفات على هذا النهج سواء كان الموصوف مؤمنا أم غيره ، مدحا أم ذما أم وصفا دنيا أم أخرى وذلك كثير جاء على الأصل . لكننا لاحظنا أنه فى المقامات

---

(١) راجع الرازى ١٦/٣٥٥ والبحر ٨/ [illegible]



القوية التي تقتضي كمال المدح أو كمال الذم أو غيرهما اجتمعت الصفات دون عاطف لاتحاد محلها وبشيء من الموازنات يمكن تبين الطريق .

فآية الأحزاب : « إن المسلمين والمسلمات ... » جاءت إثر آيات تتعلق بنساء النبي صلى الله عليه وسلم تأمرهن وتنهاهن ، وسبب نزول الآية أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم قلن : يارسول الله : ذكر الله الرجال في القرآن ولم يذكرنا .

ولما نزل في نساء النبي ما نزل قال نساء المسلمين : فما نزل فينا شيء فنزلت الآية توضح عشر مراتب من الإسلام إلى قوله « والذاكرين الله كثيرا والذاكرات »[1] وجاءت الواو بين الجنسين لزوماً لاختلافهما كما جاءت في عطف الزوجين على الزوجين بياناً لاستقلال الصفة . أما آية التحريم فقد عاتب الله فيها نساء النبي صلى الله عليه وسلم بقيادة عائشة وحفصة رضي الله عنهما ، وتهددهن - مع ما لهن من فضل ومكانة — أن يبدله الله خيرا منهن « عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا » فهنا خيرية عالية تفوق في الصفات من اختارهن الله زوجات كاملات لخير الرسل ، قوة في الصفات وعلوا في مدح النساء فكان المناسب ترك الواو دلالة على التلازم واجتماع الصفات وتوحدها في الموصوفات . وهي صفات عالية منها صفة خاصة هي السياحة التي لم تذكر إلا في هذه الآية وآية

---

(١) راجع الرازي ٢٥/٢١٠ والبحر ٧/٢٩٢ .



الـكلة من المؤمنين[1] « التائبون العابدون ... » التوبة ١١٢ وهى آية لم تذكر فيها الواو أيضاً. وهذا من عجيب شأن القرآن وتناسبه. والسياحة صفة مدح للصائمين ، قال الزمخشرى شبهوا بذوى السياحة فى الأرض فى امتناعهم من شهواتهم[2] والواقع أن التعبير إيحاءات مديدة فهى سياحات فى عالم الروح والقلب والتفكر فى الكون والإيمان : سياحة فى الزمان وسفر بالفكر فى الأكوان ذكرا وشكرا ورقيا وقربا .

وآية الكلة الذين اشترى الله أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين »[3]

ونلحظ فى هؤلاء المؤمنين من خلال الآيتين :

١ — التعبير عن الاستشهاد وبذل المال فى سبيل الله بأنه تعاقد طرفاه الله بلفظ الجلالة والمؤمنون استبدالا بالأنفس والأموال جنة خالدة .

٢ — جملة الاعتراض « ومن أوفى بعهده من الله » بهذا الاستفهام

---

(١) المعجم المفهرس ٣٧٤ .
(٢) الكشاف ٢/٢١٦ والرازى ١٦/٢٠٥ .
(٣) التوبة ١١٢

الدال على النفى تقريرا لوعد الله بالجنة وتحقيقا ثم الالتفات فى «فاستبشروا ببيعكم» تشريفا على تشريف وتكريما وتفريحا وبالغ سرور .

٣ — قوله : «وذلك هو الفوز العظيم» أحد تعبيرين فى القرآن جمع فيه الواو واسم الإشارة المفخم (ذلك) وضمير الفصل . والتعبير الثانى من دعاء الملائكة للمؤمنين فى إخلاص طاهر أبيض «وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم»[1]

جمع فى آية التوبة بين الثلاثة (الواو واسم الإشارة وضمير الفصل) تنبيها على أن الاستبشار من الله يتضمن رضوانه ، والرضوان يتضمن الخلود فى الجنان . كما ذكر الكرمانى يعنى بذلك أن هذا التعبير دون ضمير الفصل أو الواو سبق فى سورة براءة إثر الرضوان أو الخلود فى الجنان فى الآيتين ٧٢ ، ١٠٠ .

٤ — التائبون : صفة مقطوعة للمدح بتقدير «هم» أى الذين بايعوا الله فاشترى منهم أنفسهم وأموالهم هم هؤلاء ... ورجحه أبو حيان بدليل قراءة «التائبين» بالياء نصبا على المدح أو جرا صفة للمؤمنين وثم أوجه أخرى تطلب فى مظانها ثم ذكر لهم صفات جليلة اجتمعت فيهم فى رفعة وكمال ، وأنت تحس فى الإيقاع جلالا وجمالا وثناء وإشهارا وتكريما وتصويرا لشفافية وصفاء فيهم بحذف الواو واجتماع هذه الصفات النادرة لهم فيع ثر لكل خير وكل وصف جليل طاهر كما تحس أيضا فى هذه الألفات الممدودة فى المقطع الثانى .

(١) غافر ٩

والواوات الممدودة فى المقطع الرابع وختام الأوصاف بالنون وتوالى ذلك فى الصفات دون واو فى سبع منها بهذا الإيقاع الجليل المعبر عن شموم ومقامهم ولذا أمر الله نبيه الأسوة أن يبشرهم وهم صحابته ومن كان على قدمهم بقوله « وبشر المؤمنين » ختام الآية بإظهار وصفهم دون ضميرهم إشادة بهم ، وبأنهم وصلوا إلى درجة الكمال فى الإيمان ، كما حذف المبشر به إما لسبقه وهو الجزاء بالجنة وإما للايذان بأنه — بعد هذه الصفات — خارج الجلالة وعظمته عن حد البيان .

وعلى هذا ففيما جاز فيه ذكر الواو وتركها تركت الواو لمقتضى المقام ومدحا وترغيبا . فيما لزمت فيه الواو من التقابل بين الأمر والنهى أو دفع وهم غير مراد لو حذفت لزمت الواو اقتضاء لفوها بلاغيا .

وقد سبق تعليل الرازى فى أن ما كان من الصفات عبادات يأتى بها الانسان لنفسه لا تأتى الواو أما النهى عن المنكر فعبادة متعلقة بالغير وهذا النهى يوجب ثوران الغضب وظهور الخصومة فكان النهى عن المنكر أصعب أقسام العبادات والطاعات فأدخل عليها الواو تنبيها على ما يحصل فيها من زيادة المشقة والمحنة .

وعلى كل فإذا كان المؤمنون طوائف فهذه الطائفة أعلى رتبة ومقاما من الذين اتقوا عند ربهم فى آية آل عمران ١٥ ومن آية الأحزاب ٧٠ وتأمل تفردهم هنا فى التوبة بصفة الحمد « الحامدون » وجهاد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ثم حفظهم لحدود الله على الاطلاق وهى أعم من حفظ الفروج فى آية الأحزاب « والحافظين فروجهم والحافظات » ثم جمع لهم

من الصلاة أشرف أركانها الركوع والسجود بمعنى لزومهم لذلك حتى صار وصفا لهم .

ومن مجيء الصفات متوالية دون عاطف مدحا وتزكية للنبي صلى الله عليه وسلم الآيتان آخر التوبة « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » ١٢٨ جمعا للصفات بدون جامع لاتحادها فيه فهو صلى الله عليه وسلم منبع كل كمال بشرى وتأمل كيف أجرى عليه الوصفين « رءوف رحيم » وما لهما من فيض نورانى شفيف .

الوليد بن المغيرة وصفات الذم :

وصفات الذم تأتى غالبا بالواو كقوله تعالى « إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون ، وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون » المطففين ٢٩ — ٣٣

« إلا أصحاب اليمين فى جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين ، وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين » المدثر ٣٩ — ٤٨

« المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم » التوبة ٦٧

---

(١) راجع فى آيتى التوبة : الكشاف ٢/٢١٦ والرازى ١٦/٢٠٢ وما بعدها والبحر ٥/١٠٤ وأبا السعود ٤/١٠٦ وأسرار التكرار ٩٩ .



ويمكن أن تجد فى المصحف حشدا من صفات الكافرين والمنافقين وأعداء الأديان والإسلام ، لكن موقف القرآن الكريم من الوليد بن المغيرة كان مثيرا ،قال ابن قتيبة « لا نعلم أن الله تعالى وصف أحداً ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة لأنه مع سنه وحكمته ورئاسته وشرفه وعقله رأى الهدى فصدف عنه وأبصر النور فعشى بصره فضل وأضل » وقال فى القرآن الكريم الكلمة السوأى « إن هذا إلا سحر يؤثر » .

وتأمل هذه المياسم الخالدة الرهيبة صدقا فى الوصف وكشفا للعوار وإبلاغا فى الذم « ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم ، أن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين سنسمة على الخرطوم » القلم ١٠ — ١٧ .

أجل وسم على خرطومه حسيا ومعنويا وسما خالدا أبد الدهر ، وتأمل مدح الله فإنه زين وذمه فهو شين كما قال النبى الكريم صلى الله عليه وسلم لوفد بنى تميم ردا عليهم[1] وتأمل ذم القرآن لأم جميل وكيف أخذ الغضب والحقد منها كل مأخذ بوصف نافذ مُصْمِ .

والصفات فى الوليد تتوالى شديدة هائلة صادمة يضيف كل وصف لبنة فى صرح الشر والعار، فهو مجمع رذائل. ومن عجب أن تكثر حروف الذلاقة وبخاصة النون والميم وكذلك التنوين سرعة فى الإيقاع وموالاة فى الذم فهى سياط عذاب نارية لا ألفاظ وحروف .

ومثله فى الوليد أيضا قول الله تعالى « ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد

(١) راجع اعجاز القرآن للرافعى ٣١٣ .



مناع للخير معتد مريب الذى جعل مع الله إلها آخر فألقياه فى العذاب الشديد» ق ٢٥ ، ٢٦ . والوليد يدخل هو ومن على شاكلته وعتوه فى الكفر تحت العموم فى كل وتأمل الغضب المتوقد فى الأسلوب والأمر الراعد بدء صفاته «ألقيا فى جهنم» وهى صفات خلقية ونفسية هابطة رذلة تنتهى بالكفر الصريح فى أسلوب يفجر التناقض بالجمع بين الله الجليل بصفات جلاله وكماله وبين إله آخر بالتنكير المحقر ولذا كرر الأمر «ألقياه فى العذاب الشديد» نهاية الغضب والامتهان ، فالكافر يلقى إلقاء كشىء مهمل تافه مستقذر ، والغضب والتحقير والتهكم يسرى فى نسج الآيات فى ق والقلم[1] .

نخلص إلى القول بأن الصفات تأتى متوالية مجتمعة دون عاطف فى القرآن والمقامات الخاصة التى تقتضى الكمال فى الوصف مدحا أو ذما .

أما صفات الله تعالى فالأغلب إتيانها متوالية دون عاطف إلا ما اقتضى الوضع اللغوى من عطف المتغايرات أو المتقابلات .

عطف المتقاربات دلالة :

لما كان الأصل فى العطف ألا يعطف الشىء على نفسه وإنما يعطف على غيره لأن حروف العطف بمنزلة تكرار العامل ويلزمه تغاير المعمول ، كان عطف المتقاربات فى الدلالة لمعنى زائد جئ فى اللفظ الثانى ، فيشبه تغاير اللفظين بتغاير المعنيين ، فيعطف أحدهما على الآخر[2] .

---

(١) راجع فى آيات القلم وق : الرازى ٢٨/١٦٥ ، ٣٠/٨٣ ونظم الدرر ٢٠/٣٠١ وأبا السعود ٨/١٣١ .

(٢) راجع نتائج الفكر ٢٣٨ .

وقد عد الزركشي وتبعه السيوطي هـذه المتقاربات من المترادفات أو ما هو قريب منـه في المعنى ، والعطف بينها للتأكيد ، كقوله تعـالى : « إنما أشكو بثي وحزني إلى الله » يوسف ٨٦ « ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما » طه ١١٢ « ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى » طه ٧٧ « إن ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب » فاطر ٣٥[1] .

وكثير من العلماء على أنها ليست من المترادف لاختلاف البنية والمعنى تبعا ، وقد أنكر المبرد والعسكري وكثير غيرهما الترادف هذا ، إذ لا يعطف الشيء على نفسه ، وإذا كان فيه مجال للاخذ والرد في اللغة لاتساعها وكثرة لهجاتها ، فهو في القرآن مرفوض تماما ، فالبث يختلف عن الحزن ، والظلم عن الهضم ، والخوف عن الخشية ، لأن لـكل كلمة دلالة خاصة من واقع استعمالاتها القرآنية ، وهو أمر اهتم به الراغب في مفرداته والعسكري في فروقه وقدمت فيه الدكتورة بنت الشاطىء بحثا طيبا[2] .

والمعروف عند علماء البلاغة والنحو أن العطف ذاته دال على التغاير . قال سـيد شريف : أداة العطف إن توسطت بين الذوات اقتضت تغايراً بالذات وإن توسطت بين الصـفات اقتضت تغايراً في المفهوم »[3] . بل

(١) راجع البرهان ٢/٤٧٢ .

(٢) راجع الاعجاز البياني ٢٠٩ .

(٣) حاشية السيد على الكشاف ١/١٣٣ .

ماذكره العلماء أيضا حول عطف المكرر ، أو الجمل المؤكدة ، وإن اتحدت لفظا أو تقاربت من أن العطف فيها — إن لم يمكن حملها على التغاير الحقيقي وهو كثير فيها — تحمل على التغاير التنزيلي تنزيلا لتغاير بين القاتين بوجه خطابي كقوله تعالى « يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » .

وقوله تعالى « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد واتقوا الله » الحشر ١٨ وعلى ذلك الزمخشري والرازي وأبو حيان والسبكي والشهاب وعديد سواهم[1] مما سنبسط فيه القول في كال الاتصال إن شاء الله .

الواو بين التشريك والربط :

والواو قد تكون عاطفة بين المفردات أو الجمل التي لها محل من الأعراب وتفيد التشريك في الأعراب وفي مطلق الحكم أما الواو التي تأتي بين الجمل التي لامحل لها من الاعراب فلا تفيد مشاركة في الإعراب ولا في الحكم بل تأتي لمجرد الربط ، وقد أطلق عليها بعضهم واو الاستئناف والقطع والابتداء .

والظاهر أنها عاطفة لمجرد الربط كما ذكر الزركشي كقوله تعالى : « ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده » الأنعام ٢ وهي جملة اسمية . وقوله

---

(١) راجع من ذلك : الكشاف ٤٢٩/١ ، ٨٦/٤ ، والبحر ٤٥٦/٢ — ٢٥٠/٨ ، وشروح التلخيص ٨٨/٣ وحاشية الشهاب ٩٠/٨ .



تعالى : « لنبين لكم ونقر فى الأرحام مانشاء إلى أجل مسمى » الحج ٥ ، وقوله تعالى : « هل تعلم له سميا ويقول الإنسان إئذا مامت لسوف أخرج حياً » مريم ٦٥ ، ٦٦ وماجاءت فيه من الجمل التى لامحل لها من الاعراب فى القرآن لاتحصى عدا[1] .

وقول الزركشى لمجرد الربط ينبغى أن يضم إليه مع وجود الجامع والتلازم ليكون الأسلوب — وهو كذلك — بلاغيا فنيا . وعلى هذا فثورة صاحب (بلاغة العطف فى القرآن) على علماء النحو والبلاغة والتفسير ، لأنهم جعلوا الواو للتشريك فى الحكم ، نقد فى غير محله ، إذ لاتشريك فى الجمل التى لامحل لها وهى أساس باب الوصل عند عبد القاهر .

على أن نكرة التشريك إنما هى فى مطلق ذلك التشريك أعنى التشريك فى أصل الوصف فى عطف المفردات نحو : الله ورسوله أعلم فهو تشريك فى عموم العلم لاخصوصه ، إذ من البدهيات تفاوت العلمين بل استمداد علم الرسول من علم الله . على أن هذا الأسلوب ونحوه إنما ذكر فيه لفظ الجلالة للتأييد والتشريف كقوله تعالى : « والله ورسوله أحق أن يرضوه » .

وفى الآية الكريمة من سورة الأنعام ٥٥ بعد تقدم دلائل التوحيد والنبوة وصحة القضاء والقدر يقول الله تعالى : « وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين » أى كما فصلنا فى هذه السورة دلائلنا على صحة

---

(١) راجع البرهان ٤/٤٣٧ .

التوحيد والنبوة وصفات الله تعالى فكذلك نميز ونفصل دلائلنا وحججنا في تقرير كل حق ينكره أهل الباطل .

لكن ماعلة هذا التفصيل وأسبابه ؟ تأتي الجملة التالية : « ولتستبين سبيل المجرمين » قال الرازي عطف على المعنى كأنه قيل ليظهر الحق وليظهر سبيل المجرمين والمؤمنين : وذكر المجرمين لأن الضدين إذا كانا بحيث لاواسطة بينهما فمتى بانت خاصية أحد القسمين بانت خاصية القسم الآخر والحق والباطل لاواسطة بينهما . وحكى أبو حيان أنه لاحذف في « سبيل المجرمين » لأنهم الذين أثاروا ماتقدم من الأقوال الكافرة وهم أهم في هذا الموضع ، لأن الآيات ترد عليهم : وحين نأتي إلى الإعراب التفصيلي سنجد أن اللام في (لتستبين) : لام كي تفيد التعليل ، والفعل منصوب بأن بعدها واللام والمصدر المنسبك من أن والفعل لابد أن يكون له متعلق ، هذا المتعلق محذوف ، أي : لنبين لكم ولتستبين سبيل المجرمين ،وهو تقدير الكوفيين كما ذكر أبو حيان . أو ليظهر الحق كما بين الرازي .أو يقدر متأخر ، أي ولتستبين سبيل المجرمين فصلنا ذلك التفصيل وهو مااقتصر عليه في الكشاف ، فكأنه في الجملة اكتفاء بحذف الفعل لتقدم نظيره ، وهو كثير في القرآن[1] .

ولجوء العلماء إلى التقدير لأمرين : الأول أن الجار والمجرور تقديرا لابد له من متعلق . ثانيا أن تفصيل الآيات المعجزة من دلائل التوحيد

(١) راجع في الآية الطبري ١٣٤/٧ والكشاف ٢٣/٢ والرازي ٦/١٣ ، والبحر ١٤١/٤ والنيسابوري ١٥٦/٧ وأبا السعود ١٤١/٣ .



كآثار الصفات المبثوثة فى الآفاق والأنفس وصحة النبوة وقهر الله وقدره كل ذلك وقد استغرق جملة من الآيات لايتوقف تفصيله على إبانة طريق المجرمين فحسب بل لظهور الحق كما ذكر الطبرى وأبو السعود ، وهداية المؤمنين ورسم منهج فى الاستدلال بالكون على المكون والدعوة إلى التأمل وغير ذلك عديد من الأسرار . وهذا ما ألجأ العلماء إلى القول بالحذف والإيجاز الذى بنى عليه القرآن . وعلى هذا تقول صاحب بلاغة العطف إن حيل التقدير لاتختص عند النحويين بباب دون باب فهى لاتقتصر على أساليب الشرط لأن كل ماتعلق بالمطلق أى خرج على النمط النحوى المقرر كان يشد إليه شدا بتقدير محذوف أو مضاف هنا أو هنالك . وهكذا فعلوا فى باب العطف ، فحين عز عليهم تحقيق معنى التشريك الذى أصروا عليه بين الفعل (تفصل) و (لتستبين) لجأوا إلى القول بالتقدير كعادتهم ثم يقول « وهذه المجاهدة التقديرية من جانب النحاة فى هذه الآية إنما تحول التعبير فيها إلى تعبير نمطى عادى ، وتفقدها ماترمى إليه فى صورتها البلاغية المعجزة حيث تربط ربطا مباشرا بين التفصيل واستبانة السبيل وكأن هذا التفصيل من الشمول والوضوح بحيث يؤدى بالقارىء إلى رتبة الاستبانة الكاملة »[1] وتلحظ معى :

أولا : أنه أطلق استبانة السبيل مع أن السبيل مقيد بالمجرمين ولذا فإدخال القارىء هنا لامعنى له .

(١) بلاغة العطف ٧٥ ــ ٧٨ .



ثانيا : يهاجم المؤلف علماء العربية لأنهم قالوا بالحذف والتقدير ويرى أنه لا حذف ولا تقدير نسفا لكل قوانين العربية .

ثالثا : نقلت عنه قوله « إن حيل التقدير ... الخ » وهذا أسلوب لا يليق بعلماء التراث أولئك الذين كانوا قمما في العلم والذكاء والإفادة .

رابعا : يرى المؤلف أن أساليب الشرط التي حذف فيها جواب الشرط كما يقول العلماء من نحو قوله تعالى : « ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا » الرعد ٣١ لا حذف فيها ولا تقدير ، ولا بأس أن أنقل لك لفظه لتعجب يقول : عن آيات ذكرها حذف فيها جواب الشرط بإجماع العلماء « إنها في حقيقة الأمر ليست شروطا محذوفة الجواب — كما يظنون — وإنما هي باب آخر من صور التعبير في العربية لا يجري على نمط أساليب الشرط المعروفة ، ولا على نمط أساليب التقرير المألوفة ، هي من باب ثالث لا تنتهي آفاقه البلاغية عند حد ، لأنها متجددة بتجدد المعاني والسياق ، فلا يقدر عليه من البلغاء إلا من يمتلكون شجاعة العربية كما يقال »[1] لكن ما هذا الباب الثالث وما حدوده وإذا كان لا حذف في العربية فما معنى شجاعة العربية أليست هي الإيجاز كما ذكر العلماء ؟ إننا أمام دعاوى غريبة تطلق إطلاقا في تهافت ، لأن محاولة الهدم دون دليل أو بدليل أمر يخرج به صاحبه — وإن اتبع سبيل غيره — من كلام الناس .

---

(١) المرجع ٧٥ .



الجامع بين المفردات والجمل :

ونظام الكلام عند البشر — يقتضى علاقة تربط بين أجزائه ، وخيطا ينتظم تراكيبه وألفاظه وعقلا يصوغ عباراته ، فى تآخ ، وتلاؤم يجعلها مسبوكة محبوكة ، لأن الكلام فى حقيقته ناطقية الإنسان وإحساسه المتدفق ، وفكره الواعى ووجدانه الدافىء .

وقد كان الشعراء والأدباء — وقبل تدوين العلوم — وبعده ، لديهم حس بالكلمة أو ملكة لغوية ، وذوق بيانى يستبطن أسرار اللغة ، ويرصد إلهاماتها وظلالها ، ويعيش وحى ألفاظها ، وتصاوير عباراتها ، يأتلفون معها فى معايشة واعية . واندماج فى فإذا ما عبروا عن أنفسهم انبعثت التراكيب حارة فيها دفق حياتهم ، ونبض قلوبهم ، وحار مشاعرهم وصادق عواطفهم ، شعرا شاعرا أو نثرا ساحرا .

وقد تنبهوا إلى أن بعض الشعراء يقذفون أحياناً بالكلمات فى ملل ظاهر ، أو تراخ فكرى ، أو كسل عقلى ، وهمود عاطفى ، أو بخونهم الطبع حين تطول أسباب الكلام ، وهى آفة لم ينج منها شاعر مطبوع [1]. فتجىء العبارات متغائرة العرى ، متنافرة الجوار ، كقول خلف الأحمر فيما يرويه الجاحظ :

وبعض قريض القوم أبناء علة ... يكد لسان الناطق المتحفظ

---

(١) راجع اعجاز الرافعى ودلالات التراكيب د محمد أبو موسى ٢٩١ وما بعدها .



ولآخر :

وشعر كبعر الكبش فرق بينه لسان دعيٍّ فى القريض دخيل

وكانوا يعيبون على من يهمل شيئاً من مراعاة النظير . أو دقة الطباق كنقد نصيب الشاعر للكميت قوله :

أم أهل ظعائن بالمبلياء نافعة وإن تكامل فيها الأنس والشنب

قال له : باعدت فى القول ما الأنس من الشنب ألا قلت كما قال ذو الرمة :

لمياء فى شفتيها حوة لعس وفى اللثات وفى أنيابها شنب

فانكسر الكميت ، كما عاب النقاد قول أبى تمام وقد أخطأ فى تمهيده للمدح فقال :

لا والذى هو عالم أن النوى صبر وأن أبا الحسين كريم

ما زلت عن سنن الوداد ولا غدت نفس على إلف سواك تحوم

فأية مناسبة بين مرارة النوى وكرم أبى الحسين [1]

إن هنا تناقضا فى الشعور دلالة الكذب الفني بين الفراق المحرق وما فيه من كآبة ولوعة . وعذاب ، وحنين راعش ، ومذاق مر ، وبين كرم الممدوح الذى يبعث فى النفس هشاشة وبشاشة وإقبالا باسما ، وأملا مشرقا راضياً فى سبيله أوجف الشعراء وبريت أسلات الأقلام .

ودع عنك من يدعى لأبى تمام أنه قصد بناء صيغة عطف ذات نسق موضوعى جديد ، يتم فيه تراسل ماهيات المعانى بين مرارة النوى وكرم

(١) راجع البيان والتبيين ٦٦/١ وما بعدها وبغية الايضاح ٨٧/٢

أبي الحسين على وجه بنيوي خاص من خلال إبداع سياق يعبر عن البنية الخفية الكامنة تحت هذا العرض للواقع الذي قد يبدو عرضا غير متجانس»[١] وإذا كان صاحب الفقرة السابقة قد أثبت لأبي تمام ماغفل عنه أوما أخطأ في فهمه النقاد إلى يومنا هذا فقد فعل ذلك مع الكميت أيضاً[٢]

والمؤلف تبعاً للأسلوبيين وأصحاب البنيوية يرفض فكرة الجامع وإن شملت العلاقات على اختلافها وتنوعها و كونها دائرة في عالم العقل أو الوهم أو الخيال ، وهي الطاقات الإنسانية التي عرفها العلم قديما وحديثا ، يرفضون ذلك بحجة أن تلك العلاقات خارجية قبلية ، يعنون أنها موجودة أو متحققة قبل إنشاء النص ، وخارجية مستمدة من عالم النفس ، أو على أساس (سيكولوجي) أو تراثي ، ويستدلون بذلك القول بالعلاقات المستمدة من صيغة النص وبنيته أو ما سماه المؤلف : « تراسل ماهيات المعاني » رفضا لفكرة الصواب والخطأ وقانون الترابط العقلي ، وما أقره التراث من جامع عقلي ونفسي وخيالي ووهمي ؛ تاركا للأمان حرية التجديد. والمؤلف بعد هجوم وأخذ ورد وتمثيل بشواهد مصنوعة كأن يقول ممثلا لاختلاف الصورة باختلاف الصياغة :

الحسين والحسن وعلى من عظماء التاريخ — لينين وماركس وعلى من عظماء التاريخ[٣] ووضعه عليا يقصد الإمام عليا بجانب أقطاب الشيوعية أمر غريب مريب ، المؤلف بعد كل ذلك ينادي ببلاغة السياق المبتكر ، والسبب في ذلك أن البلاغة العربية قاصرة عن مواكبة

---

(١) بلاغة العطف ١٥٨ .

(٢) المرجع ١٦٠ (٣) المرجع ١٤٠



الشعر الجديد أو الشعر الحر وهذا ما ردده في مؤلفه[١].

والواقع أن عدم القراءة في كتب التراث هي سبب كل بلاء. ذلك أن تغير الترتيب في السياق أو النسق من تقديم أو تأخير يؤدي إلى اختلاق المعنى والتصوير وهذا أمر بديهي كرره عبد القاهر في دلائله عشرات المرات. أما بلاغة السياق، أو مايوحيه النسق من تصوير خاص ومعنى معين، فهو أمر لاجديد فيه عند علماء البلاغة وعلماء القرآن، وبخاصة علماء التناسب بين الآيات والسور، ولكنه تناسب لايخرج عما أودعه الله في الإنسان مما يدركه عقله، أو ينبض به قلبه، أو يرقى إليه وهمه، أو مايحلق به خياله. ثم إن ماذكره العلماء من ألوان الجامع وغيرها من فنون البلاغة إنما هي أطر عامة، ووسائل أداء، ومناهج قول، تمثل الإنسان العربي عقلا ووجدانا وقيما، ولاتحجر على حرية الشاعر أو الأديب في التعبير. ومن هنا تنوعت التعابير والتصاوير والتراكيب بتنوع الشعراء الذين لايحصون عددا فالتعبير كبصمة البنان لاتتفق في اثنين.

أما الأسلوبية والبنيوية أو الحداثة بوجه عام فليس هدفها تجديدا وابداعا إنما هدفها — كما ذكر الدكتور محمد مصطفى هدارة في محاضرة قيمة له بنادي جدة الأدبي في رجب ١٤٠٦ هـ — مناصرة الشعر الحر (وهي أخطر من الليبرالية والعلمانية والماركسية وكل ماعرفته البشرية من مذاهب واتجاهات هدامة ترسيخا للنموذج الغربي في حياتنا وفكرنا، تمردا كما ذكر أدونيس على الواقع الاجتماعي دينيا وفكريا وسياسياً، وثورة على الأنظمة السائدة.

---

(١) المرجع ٣٢، ١٧٦.



ولما كانت الحداثة هدما لكل نظام وقاعدة ، دون أن توجد نظاما وقاعدة أصبح العبث الفكرى سمة بارزة فيها ، وسقطت فى ظلمات الغموض وألغاز الطلاسم بدعوى أن الشعر نوع من السحر لأنه يهدف إلى أن يدرك مالا يدركه العقل ، والواقع أن الحداثة راجعة فى أصلها إلى العلمانية والماركسية كما تكشف خالدة سعيد زوج آدونيس .

ثم إن الحداثة عند بعضهم تدمير لكل قاعدة فى اللغة ، ومحاولة لإعادتها إلى اللاقاعدية اللامتشكلة ، ويتم ذلك عن طريق تدمير بنية الجملة الدالة وتحويلها إلى سلسلة من الامكانات والتداخل ، فهى تدمر العلاقة التقليدية بين الكلمات والأشياء ، لتصبح الكلمات استثارة لأنواع مختلفة من السياق .

وهم يسمون اللغة العادية (التواصلية) أو الترابطية ، بمعنى أن لفظها تشير إلى موجود فيزيائى . ولكن لغة الحداثة لا تستحضر الحدث فى وجوده الفعلى ، بل تريحه وتنسج حوله شبكة معقدة من العلاقات ، حتى إن وجود الشىء يتحول إلى وجود رمزى صرف يختفى فيه اختفاء شبه مطلق . والمحاضر ة قيمة كانت لها هزة ، ووقع طيب فى الأوساط العلمية والأدبية ، وقد حرصت على نقل فقرات من هذه المحاضرة لأبين ما يتخذه دعاة الحداثة من عناوين قرآنية ، قد يضل بها بعض شبابنا الذين هم عدة هذه الأمة فى مستقبلها . ونعود إلى النسق لنقول : ان الامام عبد القاهر اهتم كثيرا فى تقدير نظرية النظم بما للعلاقات بين الكلمات والجمل من خطر وأثر جليل ثم أضاف السكاكى بعقلية حادة مفهوم الجامع بين الكلام تلخيصاً للتراث البلاغى فى هذا الشأن .

والجامع إما عقلي أو وهمي أو خيالي : فالعقلي يشمل كل العلاقات التي يحكمها العقل ولا تخرج عن دائرته بأن يكون بين المسند اليه أو المسند في الجملتين اتحاد في التصور بأن يخصا نوعا أو شخصاً واحدا نقول زيد يشعر ويكتب أو وتماثل هذا في الواقع الخارجي ، أو تضايف كما بين العلة والمعلول ، والسبب والمسبب ، والسفل والعلو ، والأقل والأكثر .

فالأول : وهو ما اتحد فيه المسند إليه كقوله : « فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات » محمد ١٩ والثاني : وهو التماثل كقوله تعالى « والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون . والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم » الحديد ٢٩ تماثلا في الجزاء الجليل .

وتماثل للمسند كقول الشاعر :

فيبكي ان نأوا شوقاً إليهم ويبكي ان دنوا خوف الفراق

والثالث وهو التضايف أن يكونا بحيث لا يمكن تصور أحدهما دون الآخر في الذهن .

والجامع الوهمي أن يكون بين تصوريهما شبه تماثل كلون البياض والصفرة ، فإن الوهم يبرزهما في معرض المثلين ، ولذلك حسن الجمع بين الثلاثة في قول الشاعر :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو اسحق والقمر

أو تضاد كالسواد والبياض ، والتحرك والسكون أو شبه تضاد كالسماء والأرض فإن الوهم ينزل المتضادين منزلة المتضايفين فيجمع بينهما في الذهن ولذلك نجد الضد أقرب خطورا بالبال مع الضد ومن ذلك قوله تعالى :

« ومايستوى الأعمى والبصير ولا الظل ولا الحرور ومايستوى الأحياء ولا الأموات »[1]

وقال تعالى « إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم »[2]

« فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا »[3] والتضاد وما يشبهه أو الطباق بألوانه أدى دورا خطيرا فى الأساليب القرآنية ، ذلك أن التقابل فطرى فى النفس وأقرب طروا بالبال ، والحياة نفسها تقوم عليه وهذا الكون العتيد مبنى عليه ليس فى الأمور المادية الحسية فحسب ، بل والعقلية والنفسية والروحية .

وليس الضد شرا بالضرورة ، بل هو قانون التغير والتقلب فى الحياة والأحياء ، أليس الكون سماء وأرضا ، وليلا ونهارا ، وشمسا وقمرا ، وجبلا وسهلا وماء وجدبا ؟ أليست حياة البشر رفعة وضعة ، وغنى وفقرا وعزا وذلا ، وحلما وجهلا ، وبدءا ونهاية .

أليس الإنسان مجموعة صفات متنازعة ، وحالات متفاوتة : من صحة ومرض ، وسعادة وشقاء وحب وشنآن وإيمان وكفران . لذا وجدنا الطباق مما ينبنى عليه القرآن وهو حياة مصورة للحياة بمفهومها الكبير ، ومرآة عاكسة لقضية الإيمان والكفر ، والصراع بين الحق والباطل ، والفضيلة والرذيلة ، وما لذلك من تشعب وتنوع وتقلب وحدة بين أصحاب الرسالات وأتباعهم المؤمنين وبين ذوى الباطل والكفر وأشياعهم .

---

(١) فاطر ١٩ — ٢٢ .

(٢) الانفطار ١٣ ، ١٤ .

(٣) التوبة ٨٢ .

ومن هنا كثر التقابل جدا فى القرآن وأنه رباط معنوى يجعل النسق متماسكا ، يتوحد فى الفكر والخيال فوق أنه نوع من التصوير وضرب من الإيقاع وشعبة من الفطرة وقبس من الحياة الدافئة .

والجامع الخيالى : أن يكون الجمع بين الشيئين اعتبارها مسندا إلى إحدى الحواس الظاهرة والخيالى تتسع دروبه ومذاهبه وصوره حتى يلتئم الوجود فى النفس الشاعرة التى تدرك خافى العلاقات بين الأشياء ، وتنظر إليها برؤية خاصة ، ومذاق معين والخيال بألوانه التى فصلها القدماء والمعاصرون من هبات الله للبشرية ، وهى قوة مبدعة ملهمة تختلف فى إنسان عنه فى آخر ، وما العبقرية إلا نفاذ فى القوى الباطنة ، وحدة فى الخيال ، وتوقد يلتحم بالوجود فى إلهام مقدس ، وقد يجنح الخيال ويجمح فيؤلف بين المتنافرات بعلاقات نفسية خاصة ، وقد يغرق فى ذلك حتى يكون الغموض . بيد أن من الغموض ما يمكن كشف أستاره بعد تأمل ، وإعمال طاقات الإنسان ، وهى متعة ذهنية تسوق إلى متعة وجدانية فنية حين يتبدى التصوير بعد خفاء . وينكشف الجمال بعد سفور حجاب .

قال عبد القاهر فى التمثيل : ومن المركوز فى الطبع أن الشىء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه ، ومعاناة الحنين نحوه ، كان نيله أحلى ، وبالميزة أولى ، فكان موقعه من النفس أجل وألطف ، وكانت به أضن وأشغف ، وكذلك ضرب المثل لكل مالطف موقعه ببرد الماء على الظمأ كما قال (القطامى) :

هن يبتذلن من قول يصبن به   مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

وأشباه ذلك مما ينال بعد مكابدة الحاجة إليه . وتقدم المطالبة من النفس به ، فإن قلت فيجب على هذا أن يكون التعقيد والتعمية وتعمد ما يكسب المعنى غموضاً مشرفا له وزائدا فى فضله وهذا خلاف ما عليه الناس ألا تراهم قالوا إن خير الكلام ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك ؟ فالجواب أنى لم أرد هذا الحد من الفكر والتعب وإنما أردت القدر الذى يحتاج إليه فى نحو قول المتنبى :

فإن تفق الأنام وأنت منهم   فإن المسك بعض دم الغزال

وقوله :

وما التأنيث لاسم الشمس عيب   ولا التذكير فخر للهلال

وقول النابغة :

فإنك كالليل الذى هو مدركى   وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

ثم قال ـ رحمه الله ـ إن هذا الضرب من المعانى كالجوهر فى الصدف لايبرز لك إلا أن تشقه عنه... ثم ما كل فكر يهتدى إلى وجه الكشف عما اشتمل عليه ، ولا كل خاطر يؤذن له فى الوصول إليه ، فما كل أحد يفلح فى شق الصدفة ، ويكون ذلك من أهل المعرفة ... ثم يقول عن التعقيد « وإنما ذم هذا الجنس لأنه أحوجك إلى فكر زائد على المقدار الذى يجب فى مثله ، وكدك بسوء الدلالة ، وأودع المعنى لك فى قالب غير مستو ولا مملس ، وإذا خرج مشوه الصورة ناقص الحسن ، ولذلك كان

أحق أصناف التعقيب بالذم — مايتعبك ثم لايجدى عليك ويؤرقك ثم لايروق لك »[1] .

وقوله : « أحوجك إلى فكر زائد على المقدار الذى يجب فى مثله » يؤكد على معيار وإن كان نسبيا — للغموض الفنى فثم درجة لهذا الغموض يتحول بعدها النص إلى معميات وطلاسم وأحاجى وألغاز ، وهذا المعيار استقر فى الحس النقدى العربى قبل عبد القاهر وبخاصة حينما ظهر أبو تمام كظاهرة فنية فريدة جريئة — وإن مهد له غيره كمسلم بن الوليد — من إسراف فى ألوان البديع ومزجها بالصورة البيانية وغمسها فى ألوان ثقافته العميقة مع عمق وإغراب وجموح خيال ، مما جعل الصور الفنية عنده كثيفة مركبة ، ثم إنه اتكأ فى بناء الصور على علاقات بين المشبه والمشبه به أو المستعار والمستعار له جد خافية فيها بعد وغموض لخياله الفذ وعقله الحاد .

وقد هال معاصريه بشعره ولم يرض جمهرة النقاد بعديد من أبيات شعره ونقده كثيرون كابن المعتز والآمدى وعلى بن عبد العزيز والباقلانى وابن سنان وعبد القاهر — وابن رشيق — قال الآمدى : صار كثيرمما أتى به من المعانى لايعرف ولا يعلم غرضه فيها إلا مع الكد والفكر وطول التأمل ومنه ما لايعرف معناه إلا بالظن والحدس . وقال منصفا لبعض شعره ، لما فيه من لطيف المعانى ، ومستغرب الألفاظ ولكنه شره إلى إيراد كل

(١) راجع الفصل الرائع الذى عقده الامام لقضية التعقيد والغموض الفنى فى أسرار البلاغة ١٣٢ — ١٤٩ .

ما جاش به خاطره ولجلجة فكره تخلط الجيد بالردىء والعين النادر بالرذل الساقط ، والصواب بالخطأ[1] ومن بعيد استعاراته قوله :

لدى ملك من أيكة الجود لم يزل على كبد المعروف من فعله برد

حتى إذ اسود الزمان توضحوا فيه فغودر وهو منهم أبلق

كأنني حين جردت الرجاء له عفنا صببت اليها ماء على الزمن[2]

ولبعيد استعاراته وكثرة تشخيصاته ، واستعاراته التخييلية واختلاقه علاقات بعيدة كان قريبا إلى أذواق بعض المعاصرين وبخاصة الرومانسيين وربما كان محمود حسن إسماعيل فيه شبه من أبي تمام من حيث تكثيف الصورة وتراكبها واتكائه على علاقات فيها بعض الغموض وهذا وغيره مما يدور في إطار من التجديد له جذوره عند الشعراء من قديم ، ولا تبعد عن الأطر العامة التي صاغها العقاد معبرة عن روح الشعر العربي من خلال نصوصه الوافرة . ثم إن تقبل ما كان فيه غموض فني زائد قليلا عن الحد النسبي المدرك بالذوق المثقف أو رفضه محكوم في النهاية بالجامع الوهمي أو الخيالي . وهذا مختلف تماما عن هذا الانغلاق المغرق في الإبهام والغموض المطبق ، الرمز الكثيف فيما يسمى بالشعر الحر ، الذي تضافرت عوامل عدة

---

(١) راجع فصل « أخطاء أبي تمام في اللفظ والمعنى » للآمدي : الموازنة ١٢٣ ــ ٢٥٣ والمنقول ص ١٢٥ .

(٢) راجع الموازنة ٢٣٣ وباب : ما في شعر أبي تمام من قبيح الاستعارات . الموازنة ٢٢٨ ــ ٢٤٧ .

وانظر : الصبغ البديعي د أحمد موسى ٨٢ ــ ١٠١ والفن ومذاهبه في الشعر د شوقي ضيف ٢٣٢ ــ ٢٦٢ .

على ظهوره ، والنفخ فيه من آثار الاستعمار وحملات الاستشراق ، وأتباعه وضرب الحركة الإسلامية فى بلاد العرب ، خاصة ومحاربة التراث وتكالب الشيوعية والصليبية أو الرأسمالية على عالم عربى مفكك ابتلى بالدولة اليهودية مخلبا للاستعمار الغربى يزهق كل توثب أو تقدم أو طموح .

ولذا عاش كثير من الشباب التشتت النفسى والتمزق الوجدانى بين شقى الرحى يساراً روسيا أو فكرا غربيا مبنيا على تراث وثنى يونانى ، وتقاليد مسيحية متغايرة الملامح :

فالشعر الحر ظاهرة مرضية أفرزتها ظروف بالغة القسوة مرت بالأمة العربية والإسلامية ، ولا نجاة إلا بدعم الإسلام وتربية الأجيال الناشئة على قيمه الخالدة وعلى تراثه الجليل الذى انبثق من الكتاب العزيز والحديث الشريف ليظل العرب عربا والشرق الإسلامى شرقا إسلاميا ...

والواقع أن الشعر الحر نشأ بعيدا عن الحداثة ثم أصبح كثير من رواده دعاة للحداثة وتقوم صور شعرهم على علاقات سريالية أو عقلانية ، إنها إباحة مطلقة بلا منطق ولا حدود ، وإسقاط لكل مايتعلق بالتراث وعبادة للغموض الملغز ، بمعنى أن الجامع لشتات الصورة عندهم جامع نفسى لاعقلانى ، خاص بالشاعر وحده الذى يختلقه من أحلام غير منتظمة ونفثات العقل الباطن وشهوة إلى تدمير كل إيقاع وتلاؤم فى اللون أو فى النفس .

فالشعر الحر الحداثى فى مجمله لوحات سريالية ، والمخيف أنها تخضع لمنهج فكرى منظم هو تدمير كل ثابت إسلامى عربى بتحطيم اللغة التى

يرون فيها ـ كما يقول الدكتور هدارة فى محاضرته ـ يرون فيها شبحا للسلطة التى يكرهونها ـ كما يقول الدكتور كمال أبو ديب « الحداثة لاترى موت اللغة فقط بل تراها لغة مكدسة محشوة بالسلطة وقوة ضخمة من قوة الفكر المتخلف التراكمى السلطوى » وذلك بتدمير بنية الجملة العربية وتحويلها إلى سلسلة من الإمكانات والتداخلات وإلى لغة تعيد العالم إلى سديم أولى يهسهس ويوسوس فقط كما يقول أبو ديب إنه حلم مجنون مرعب يفوق ماعرف العالم من بشاعة فى الشيوعية أو الاستعمار الغربى المخيف .

وينبغى على علماء العربية ومن له دين وخلق وعلم أن يقول كلمة نصرة للغة والإسلام قبل أن يموت متخاذلا ملوما صدا لهذا السيل الجارف من العفن الذى تطالعنا به المجلات الأدبية والصحف اليومية أو الأسبوعية ونحمد الله أننا نثيرها قضية مع زملائنا وأبنائنا أينما كنا تنبيها وتخصيصا .

الجامع الخيالى شاهد وتحليل :

وبدءا فإن فى القرآن الكريم مانبه إليه الشيخ محمد عبد الله دراز رحمه الله من الجامع النفسى أو تنزل الألفاظ على تداعى المعانى فى النفس بالإضافة إلى ماعهد من الجامع العقلى أو الوهمى أو الخيالى بمعنى أن أساليب القرآن الكثير تثير بعض هذه الملكات النفسية أو جميعها عقلية ووجدانية قراءتها أو سماعها ، واستشراف العلماء إلى القرآن وبلاغته ، إنما هو رصد لما ينعكس على مرآة قلوبهم وتنفعل به كل طاقاتهم حسا وخيالا وقلبا وعقلا وما لانعرف مما أودع الله فى الإنسان من حواس وملكات تستجيب للجمال وتهيم به ، جمالا روحيا تطير به النفوس إلى آفاق السنا والصفاء. وانظر إلى هذه الآيات التى يسميها ومثيلاتها سيد قطب رحمه الله « لوحات » فنية قال تعالى « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت » الغاشية ١٨ — ٢٢ .

والنظر إليها من جوانب مختلفة أو مستويات معينة فالقرآن نزل على لغة العرب وكانوا ذوى أسفار على الإبل فحين يمتطى العربى ناقته فى المهامه والقفار ويخلد إلى التفكير فلا يجد إلا صحراء ممدودة ، تبرز فيها الجبال شامخة تناطح السحاب من قريب ، ضئيلة من بعد ، كناقته الناجية التى يرتحلها وهو فى دائرة دائمة من أفق السماء المنطبق على الأرض وهو مركزها ثم إن هذه الأمور مصدر حياته وبقائه وحمايته ، إنها لوحة فنية تجمع بين السماء والأرض والجبال والإبل فى مشهد واحد ملحوظ فى أجزائه الضخامة

وماتلقيه فى الحس من استهوال ، وهناك اتجاهان ـ كما يقول سيد قطب ـ فى توزيع الأجزاء : أفقى فى السماء المرفوعة والأرض المبسوطة ، ورأسى فى الجبال المنصوبة والإبل الصاعدة الأسنمة ، ثم إن هذه الصورة مرتبطة الأجزاء متداخلة العلاقات فى خيال العربى مرتبة حسب ترتيب الأجـزاء وقرب نفعها للانسان من الجمال وهى أنفع وأضخم الحيوانات عندهم وبها تتحقق هذه الصوره المسافرة ويمكن بشىء من التسامح أن نقول :

إن بدء اللقطة للصورة من فوق الإبل فى مستوى يصافح البصر فيه وجه السماء وقمم الجبال وعلى المدى المنبسط أرض مسطوحة وهذه الصورة مقصود بها الدعوة إلى التفكير فيما خلق الله وصنع وأبدع استدلالا بالمصنوع على الصانع المبدع جل شأنه تعانقا بين الدعوة وإشباع الحاسية الفنية كما هو شأن القرآن الـكريم (١) .

---

(١) راجع فى الآية الرازى ١٥٨/٣١ وبغية الايضاح ٩٢/٢ وشروح التلخيص ١٠٢/٣ والشـــهاب الخفاجى ٣٥٤/٨ والتصوير الفنى ١٢٣ .



مواطـن الفصـل :

أشرنا إلى أن مصطلح الفصل ، لا يعني قطع العلائق بين الأساليب ، بل الفصل والوصل : وسائل للتعبير يصطنعها الأديب ليترجم بها عما يشاء من مكنونات فؤاده ، وقد يتجاوران في نسق واحد ، وتتلاحم الجمل وتتداخل ، وتتدفق المعاني وتتشابك ، على أن ماساقه العلماء من مواطن الفصل والوصل في الكلام البليغ لا تستوفي كل مواضعه في القرآن الكريم ومقاصده ، فقد تسقط الواو في موطن لتذكر في آية مشابهة وقد تستبدل بالواو الفاء ، وقد تتجاور الآيات دون وصل ، أو توصل دون فصل «وقد ترى القرآن يتم طائفة من المعاني ، ثم يعود إلى طائفة أخرى تقابلها ، فيكون الحسن — كما ذكر الشيخ دراز — من الناحيتين ، وملاك ذلك النظر إلى النظام المجموعي للسورة ، ولو سئل المرء أين موضع الوصل لصعب عليه تحديده بقاعدة علمية ، على أنه لو خلى نفسه ووجدانها واتصل بهذا الموضع تلاوة لأحس بروح الاتصال ، وحلاوة الانتقال قبل أن يهتدى لعلة معينة»

وهذه الفقرة — كما قلت — من إلهامات الدكتور دراز — رحمه الله — ارتسمت على صفحة قلبه ، بما قد يعني بعض العلماء أنفسهم في الوصول إلى بعضه دهراً دهيرا كما ننبه أولا إلى أنه قد يتوارد اصطلاحان على موطن واحد ، فيكون الفصل — مثلا — لكمال الانقطاع ، وشبه كمال الاتصال . والنكات لا تزاحم — كما يقولون ثم إن وجود نوع من الجامع في الآيات القرآنية كالجامع العقلي يعني أن الأسلوب مقنع للعقل فحسب أو مثير للخيال وحده فمن البدهي أن من سمات الأسلوب القرآني كما أفاض في

ذلك الدارسون إثارة الجانب العقلي والعاطفي معا أو على درجة سواء ، وإن شئت قلت : إنه الأسلوب الفاذ الذي يثير مانعلم ومالانعلم من طاقات الإنسان وملكاته ومواهبه كإنسان .

مواطن الفصل :

وللفصل خمسة مواطن : الأول : كمال الانقطاع ، ويكون لأمر يرجع إلى الإسناد أو إلى طرفيه وله حالتان : الأولى : أن تختلف الجملتان خبرا وإنشاء لفظا ومعنى ، أو معنى ولفظا [1] .

ويبدو أن هذا سبب شكلي للفصل ، ذلك أن إحدى الجملتين تحكي من حدث وقع ماضيا أو يقع حالا فله نسبة خارجية والجملة الثانية إنشائية : لم يقع مدلولها بعد فليس لها نسبة خارجية وهذا معنى قولهم : كمال الانقطاع ولايعني قطع المناسبة بينهما اذ لابد منه ليلتئم الكلام التئاما يكون حسنا ثم تترقى الأساليب في الحسن البلاغي حتى تصل درجة الإعجاز الذي تفرد به القرآن الكريم ولذا فمجرد اختلاف الجملتين خبرا وإنشاء لايعني الفصل لعدم المناسبة — بكمال الانقطاع — بل ينبغي أن يؤول الفصل لسر آخر بلاغي يعين عليه النسق كشبه كمال الاتصال أو كمال الاتصال بالتأكيد مثلا أو لتداعي المعاني فهو اذن في نهاية الأمر — مانع بلاغي لانحوي وهو رأى للشيخ عبد المتعال الصعيدي رحمه الله تعالى — وقد أشار إلى أن ترك العطف في هذا الضرب لمانع نحوي ، فلا يصح أن يعد من أبواب البلاغة على أن سيبويه يجيز العطف في نحو « هذا زيد ومن عمرو ؟ » مع

(١) النبأ العظيم ١٥٦ .

(٢) الايضاح ٢٤٩ .

اختلافهما خبراً وإنشاء [١] وفكرة المانع النحوي غير مقنعة لأن هذا الضرب ـ وقد جاء في القرآن الكريم ـ لابد أن له عديدا من الأسرار البلاغية « غاية ماهنالك أن يؤول سرا لفصل ـ لا لكمال الانقطاع ـ بل لتداعى المعانى أو كمال الاتصال أو غيره حسب السياق كما سبق .

على أن الفصل المستعلى بين النحو والبلاغة قضية لابسها كثير من الوهم وكثير من الأحكام العامة التى لادقة فيها قد تصل أحيانا إلى حد التجنى والجور وإطلاق القول دون هدى ولا علم وبدءا فقوانين النحو هى التى تتضمن الصحة اللغوية وبدونها لايكون الكلام صحيحا ولاحسنا اذ بهذه القوانين يكون الكلام عربيا ثم تمثل البلاغة فرعا مورقا لهذا الأصل العريق بمعنى أن البليغ يقصد قصدا إلى صياغة خاصة للجملة والجملة فيها مايشاء من معانى النحو من تقديم أو حذف أو تنكير الى غير ذلك على صورة خاصة من البيان نامة المعنى كاملة الحلى [٢] معبرة عن أفكاره الخاصة ومشاعره المعينة المكنونة على ترتيب نفسى يسيطر عليه العقل ثم يتفاوت البلغاء فى استثمار الخصائص والمزايا اللغوية وحسن التصوير لعالم النفس والفكر أعنى من حيث مطابقة الكلام الفصيح باقتدار فنى لمقتضى الحال على عمومته من حال المتكلم والمخاطب والموقف والسياق نفسيا وجماليا وتلاؤما أسلوبياً .

---

(١) بغية الايضاح ٢/٦٩ وراجع عروس الأفراح ٣/٢٦ ـ ٢٧ .

(٢) راجع : دلائل الاعجاز ٣٦ ـ ٤٤ وموضوع : الصورة فى التراث البلاغى د. محمد أبو موسى/مجلة كلية اللغة العربية جامعة أم القرى العدد الثانى ١٤٠٥ هـ ص ١٩٠ .



فالحسن البلاغى متفاوت لتفاوت الأساليب فى الاقتدار البلاغى وهذا الاقتدار دائرة تتسع لكل من وهبه الله حاسة فنية، ولسانا بليغا ، وقلبا رقيقا،وذوقا مرهفا، وحسا جماليا ،فيخرج شعرا مصفى شاعرا أو نثرا ساحرا وهذا باب رحب واسع المدى، يسع كل عبقرى اللسان والجنان ألوف الألوف من عشاق الفن الأدبى ومبدعيه .

ومن عجب أنه لا يتفق شاعران ولا ناثران فى الصياغة والإثارة والجمال القولى، لأن لكل بليغ بسمة فنية أو وجها بلاغيا أو أسلوبا خاصا به لا يختلط بغيره عند فاحص النظر وعالم البلاغة ثم يعلو الحسن طبقة أخرى فوق ما سبق درجات لتكون البلاغة النبوية فى نورها المحمدى الذى منحه الله جوامع الكلم وألهمه البلاغة ، وجعلها فيه فطرة تامة كما قال : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » وقال صلى الله عليه وسلم « أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش » ثم يرتقى الحسن البلاغى ارتقاءة خارقة ليعانق الأساليب القرآنية لأنها : « تنزيل من حكيم حميد » وهنا تكون البلاغة القاهرة والجمال القدسى الجليل .

ولا شك أن لكل من النحو والبلاغة ميدانه الخاص ووظيفته المعينة وحدوده ورسومه وأهدافه ومقاصده . ومن أظهر ذلك أن النحو — وبخاصة بعد أن استقل بمباحثه — يضع الضوابط المستقاة من كلام العرب ويبحث فى الدلالات الحقيقية للأدوات وغيرها ، ويبين الجواز والخطأ فى التعبير ، فهو فى نهايته معيار للصحة اللغوية ، بينما البلاغة تبدأ حيث ينتهى النحو فهى فرع سامق لهذا الأصل الراسخ ، ثم إنها تستثمر قوانين النحو

على وجه بلاغى يترجم عن الحس والعقل والوجدان. فالتقديم فى نحو «إياك نعبد» معنى نحوى وراءه أسرار فنية بلاغية عالية نحسها من التقديم بإفادة الاختصاص بإخلاص العبادة، وتجريد التوحيد ونقاء القلب، ووحدة المقصد تسليما لله وقربا.

وقد حفلت كتب التراث بأحكام بلاغية أصدرها بعض النحاة [1] وكانت مصدر نقد شديد من البلغاء والنقاد منذ القرن الثانى الهجرى وقد بلغت الحملة على النحاة الذين يتصدون لفنون البلاغة ذروتها عند ابن الأثير ضياء الدين الذى أكد أن النحاة لا فتوى لهم فى شئون الفصاحة، وكثيرا ما كان يذكر محاورات بينه وبين بعض النحاة فى بعض الأساليب القرآنية والأدبية يرد عليهم أقوالهم، ويتيح له أن يزيد شموخا وافتخارا، وبعيدا عن نزعة الافتخار رأينا السبكى يضع فواصل بين النحو والبلاغة لكننا نلحظ هنا أمورا:

أولا: أنه فى بدء التأليف فى العلوم العربية وجدنا النحو والبلاغة يتعانقان فى عديد من المؤلفات كما فى الكتاب لسيبويه والكامل للمبرد.

ثانيا: كثير ممن تقدم لتفسير كتاب الله من الأئمة كانوا نحاة بلغاء أحاطوا بثقافة عصرهم تقريبا وحاولوا اكتشاف الأسرار البلاغية فى القرآن انطلاقا من المعانى النحوية؛ ولم يوجد لديهم هذا التناقض الحاد بين النحو والبلاغة كما يذكر بعض المعاصرين، وصحيح أيضا أن أباحيان كان متقيدا

---

(١) يراجع فى ذلك نظرية اللغة فى النقد العربى د. عبد الحكيم راضى ص ١٩٣، ١٩٧، ٢٠٧ وما بعدها.



بفنون النحو ، وكلاهما لم ينطفيء عنده الحس البلاغى ويمكن أن نذكر من هؤلاء الأئمة الفراء والزجاج والطبرى والزمخشرى والرازى وأبا حيان وكثيرا سواهم .

ثالثاً : وجدنا معالجات طيبة لفنون البلاغة وبخاصة البلاغة القرآنية عند من اشتهروا بالنحو واللغة وكانت لهم نظرات نافذة رائدة كابن الشجرى والسهيلى وأبى حيان وأبى على الفارسى وابن جنى .

رابعاً : اكتمل بناء نظرية النظم على يد عبد القاهر الجرجانى النحوى وقد أقام على مبانى النحو أخطر قسم من أقسام البلاغة هو : علم المعانى أو خصائص التراكيب ، وقد أحس رحمه الله بانصراف كثير من مريدى العلم عن النحو : فبين فضله وأشاد به وجعله أصلا للبلاغة بل إن من لا يعرفه ولا يحلى لا يدرك حجة الله فى إعجاز كتابه ثم تتفرع عنه البلاغة متجاوزة مرحلة الصواب والخطأ إلى مراحل من الحسن والتفاوت فيه وصولا إلى مرحلة الإعجاز البلاغى فى القرآن .

ولذا فمن الخطر أن يقال فى بعض الأساليب إنه جائز نحوا لا بلاغة كقولهم فى عطف الخبر على الانشاء ذلك مع أنه قد جاء فى القرآن الكريم الذى تداخلت فيه البلاغة والنحو .

ثم إن المسألة فى العصر الحديث أخذت اتجاها خاصاً بدأ مع الاستعمار والاستشراق بشن حرب على اللغة العربية بفروعها ، وكان النحو العربى لكثرة مؤلفاته ، وملخصاته وصعوبة مناهجه ، وتعقد أسلوبه من أوائل العلوم العربية التى شنت عليها الغارات وتبعته البلاغة فى ذلك بدعوى المنهجية والتطوير وإن هى إلا محاولة لتدمير اللغة العربية للنيل من الإسلام والمسلمين .

ثم وجدنا الدكتور مندور رحمه الله وقد أطلق عليه شيخ النقاد في جيله يطلق اصطلاح « كسر البناء » ويعنى به أن التوهج الفنى والتأجج العاطفى وغليان الانفعال قد يحمل الشاعر الكبير على تحطيم القيود اللغوية أو النحوية والصرفية ، ليخرج أساليب حرة متمردة على هذه القيود ، فيها كل الجمال الآسر ، وهذا فى الواقع فهم غريب لطبيعة اللغة وطبيعة قوانينها فمع أن اختلاف اللهجات منح العلماء فرصا عديدة لجواز عديد من التعبيرات فى فروع النحو كالزام المثنى الألف فى حالاته والجزم بلن والجر بلعل ونحوها منحت اللغة الشعراء حقا مرعيا فيما سمى بضرائر الشعر والاتساع والتجاوز شملت الاشتقاق والزيادة والحذف ، والتصرف فى البنية أحيانا ومد المقصور وقصر الممدود وصرف الممنوع من الصرف وغيرها من ألوان التخفيف والتيسير لا ينكسر به بناء اللغة ولا تتحطم أصول قواعدها فلم يُفْتِ أحد بنصب الفاعل أو رفع المفعول أو ابطال الموازين فى التثنية والجمع وأسباب النصب والجر ، بل ادعى الدكتور مندور — غفر الله له — أن فى القرآن الكريم ذاته كسرا للبناء كما فى قوله تعالى : « إن هذان لساحران » « فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى » فلم يقل : إن « هذين » ولا « فتشقيان » ، وهذا إغفال كامل لما قاله المفسرون وعلماء القرآن وأمهات كتب النحو واللغة ، وبعض مثقفينا الكبار لا يلمون بكثير من هذه الأمهات . ونلتقى هنا بما نقله أبو حيان عن العلماء . قال رحمه الله عن الآية الأولى : « اختلف فى تخريج هذه القراءة فقال القدماء من النحاة إنه على حذف ضمير الشأن والتقدير : إنه هذان لساحران وضعف

بأن حذف هذا الضمير لا يجيء إلا فى الشعر وبأن دخول اللام فى الخبر شاذ ، وقال الزجاج : اللام لم تدخل على الخبر بل التقدير : لهما ساحران فدخلت على المبتدأ المحذوف ، واستحسن هذا القول شيخه : أبو العباس المبرد وغيره ، وقيل إن : « ان » بمعنى نعم وثبت ذلك فى اللغة فتحمل الآية عليه .

والذى نختاره فى تخريج هذه القراءة أنها جاءت على لغة بنى العرب من إجراء المثنى بالألف دائما ، وهى لغة لكنانة — حكى ذلك أبو الخطاب — ولبنى الحارث بن كعب وخثعم وزبيد وأهل تلك الناحية حكى ذلك عن الكسائى ، ولبنى العنبر وبنى الهجيم ومراد وعذرة وهى مشهورة .

وقرأ أبو بحرية وأبو حيوة والزهرى وابن محيصن وحميد وابن سعدان وحفص وابن كثير إن : بتخفيف النون على أنها مخففة من الثقيلة واللام فى لساحران : للفرق بين إن النافية وإن المخففة من الثقيلة [١] أما الآية الثانية فقد وجه الخطاب لهما أعنى آدم وحواء ثم أفرد آدم بالشقاء فى قوله: فتشقى : فالعلماء على أن فى ضمن شقاء الرجل شقاء أهله وفى سعادته سعادتها فاختصر الكلام بإسناده إليه دونها مع المحافظة على الفاصلة ، وقيل أراد بالشقاء التعب فى طلب القوت وذلك راجع إلى الرجل [٢] .

---

(١) راجع الكشاف ٢/٥٤٣ والرازى ٢٢/٧٥ والبحر ٦/٢٥٥ وأبا السعود ٦/٢٥ .

(٢) راجع الكشاف ٢/٥٥٦ والرازى ٢٢/١٢٥ والبحر ٦/٢٨٤ وأبا السعود ٦/٤٥ .

ثم أخذت النظرة إلى النحو والبلاغة تتجه قريبا إلى التأثر بالفكر الغربى فقد أطلق بعض المؤلفين حديثا على النحو والبلاغة مصطلح المثالى والمنحرف فالمثالى هو المستوى العادى والمنحرف هو المستوى الفنى . وهذا المنحرف أجهد النحاة أنفسهم — فى زعمه — فى الرجوع به إلى المستوى النحوى المثالى ، ولذا كان التقدير لمحذوف أو التقدير الصورى الذى « لا يعدو فى الحقيقة أكثر من كونه إجراء أو وسيلة لجبر النقص الذى يشوب ظاهر العبارة حرصا على مثالية اللغة فى النهاية » ففكرة الحذف والتقدير وفكرة العامل والاهتمام بما يسمى أصل المعنى دعا إليه حرصهم على مثالية اللغة[١] .

والواقع أن تعليل كثير من الظواهر اللغوية دلالة أو نحوا أو بلاغة بأنه انحراف عن المستوى المثالى فيه مجازفة خطرة ومصادرة للتراث ذلك أن العلماء منذ بدء التأليف وإلى يوم الناس هذا يوازنون الأساليب ويسجلون الظواهر ، ويقيسون التراكيب بناء على أصول بدهية مأخوذة من طبيعة التركيب فى الجملة العربية فالمبتدأ له خبر والفعل له ملابساته من فاعل ومفعول وزمان ومكان وسبب ومصدر والجملة قد تدخل أدوات عاملة أو غير عاملة الى غير ذلك مما يمثل هيكل اللغة كنظام تعبيرى للأمة ، والحذف للفعل أو المفعول أو جواب الشرط مقيس على ما لا حذف فيه بدلالة القرائن فقول الله تعالى : « الآن وقد

(١) راجع فى ذلك تفصيلا كتاب نظرية اللغة فى النقد العربى د. عبد الحكيم راضى ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٢٠٧ وما بعدها .



عصيت قبل » فيه حذف : أى الآن تؤمن ضرورة أن للظرف فعلا ينصبه وعلى هذا تطرد القوانين النحوية التى تطلب لها أسراراً بلاغية فنية ضرورة أن لكل من النحو والبلاغة وظيفة خاصة ومنهجا وهدفا وكل ذلك محكوم بقواعد مستخلصة من آلاف الشواهد الفنية .

ثم تقدمت القضية خطوة أخطر فأصبحت البلاغة ذاتها ثابتة أومثالية مطلقة ، لا تخرج كغيرها من العلوم اللغوية القديمة ـ عندهم ـ عن الإمكانيات الثابتة للغة العربية ، أما علم الأسلوب الحديث (فيعتمد على فكرة الاختيار والانحراف لأنه لا يتحدث عن الصواب والخطأ بل يسجل الظواهر ويعترف بما يصيبها من تغيير ويحرص فقط على بيان دلالاتها فى نظر قائليها ومستمعيها أو قارئيها »[1] .

ثم جاء دعاة الأسلوبية محاولين نسف كل ماينتمى إلى الماضى والاكتفاء بالتحليل البنيوى أو التحليل المختص بنظام النسق اتكاء على حال نفسية معقدة عند الشاعر ومعنى هذا الدعوة إلى التحرر الفوضوى من كل قاعدة هو ذاته القاعدة الذهبية فى الشعر الحر بعد أن روج له دعاة الحداثة بمنظور جديد خطير .

ونعود إلى كمال الانقطاع لاختلاف الجملتين خبرا وإنشاء والشاهد المشهور فى ذلك :

وقال رائدهم أرسوا نزاولها	فحتف كل امرىء يجرى بمقدار
ملكته حبلى ولكنه	ألقاه من زهد على غاربى

(١) راجع فى ذلك مدخل الى علم الأسلوب د. شكرى عياد ٤٤ ، ٤٥



وقال إنى فى الهوى كاذب انتقم الله من الكاذب

وفى البيت الأول فصل بين الأمر «أرسوا» والمضارع الخبرى «نزاولها» أى اثبتوا وأقيموا بهـذا المكان لنعالج شئون الحرب ونحتال لخوض غمارها ، وفى البيت الأخير : أراد الدعاء بقـوله : انتقم الله . وتلحظ معى أن قوله نزاولها : علة وسبب للارساء فهو جواب الأمر وبينهما من العلاقة مابين السبب والمسبب والأمر وجوابه وشبه كمال الاتصال ، واضح فى الفصل أيضاً : كما أن العلاقة بين الدعاء على المحبوب لزعمه كذب الشاعر فى حبه فيها شىء من الترتيب والتسبب أيضاً ، والجامع العقلى واضح أيضا فى البيتين ، وعلى هـذا فالمناسبة جد واضحة فى شواهد هـذا الضرب ، وإنما التسمية بكمال الانقطاع اصطلاحية ، وإن كانت موهمة غير دقيقة .

وشواهد هذا الضرب القرآنية لا تكاد تحصر ومنه قوله تعالى (بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) الأنعام ١٠١ (ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون) النحل ٩٥ (ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه) الأنعام ٩٩ (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ، إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) غافر ٦٠ .

وشواهد هذا النوع تشمل المواطن التى جاءت الأخبار فيها الأوامر بعد الأوامر والنواهى والاستئناف اشبه بكمال الاتصال خير به الفصل لوضوحه .

عطف الجملتين المختلفتين خبرا وإنشاء :

والواقع أن ما اختلفت فيه الجمل خبرا وإنشاء : الأصل فيه والغالب فى أساليبه الفصل ومن غير الغالب : فهناك أساليب قرآنية عطف فيها الخبر على الإنشاء أو العكس ظاهرا وكانت موضع أخذ ورد بين العلماء منذ سيبويه ، ذلك أن هذا العطف فى الجمل التى لها محل من الإعراب جائز لا خلاف فيه بين العلماء ، كقوله تعالى « وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » وهذا غير ما ذكره السكاكى من جواز عطف المختلف خبرا وإنشاء إذا اشتمل المقام على ما يزيل الاختلاف من تضمين الخبر معنى الطلب ، أو الطلب معنى الخبر ، مع الاشتراك فى الجهة الجامعة كقوله تعالى « وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً » البقرة ٨٣ ، إذ لا يخفى أن قوله « لا تعبدون » متضمن معنى : لا تعبدوا وهو موضع التوسط بين الكمالين [١]

أما عطف ما اختلف خبرا وإنشاء ، فى الجمل التى لا محل لها ، فقد كان موطن خلاف . أجازه كثير من النحاة كالصفار وجماعة ونقل أبو حيان عن سيبويه جواز عطف المختلفين بالاستفهام والخبر فى نحو : هذا زيد

(١) المفتاح ٢٥٨ .



ومن عمرو؟ ومنعه كثير من البلاغيين وبعض النحاة كابن مالك وابن عصفور.
وقال السبكي هنا : يجب الفصل بلاغة [١]

وقد تأول علماء البلاغة النصوص التي ظاهرها عطف الخبر على الإنشاء — فيما لا محل له — تأويلات تسلم به قاعدة الفصل بأن يكون من عطف مضمون جملة أو مضمون كلام على آخر أو من عطف القصة على القصة، وهو رأي الزمخشري . أو العطف على مقدر دل عليه السياق ، والإجمال هنا لا يغني عن التفصيل والتحليل والموازنات ، ذلك أن ذكر الواو وسقوطها ، وإن دار الكلام فيه على الجواز فيما له محل من الإعراب لم نجد له تفسيرا بلاغيا أعني لظاهرة ذكر الواو قليلا وتركها كثيرا ونعالج ذلك من خلال الأفعال والله المستعان .

الفعل نعم [٢] :

قال الله تعالى « ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب » ص ٣٠
وعن أيوب « إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب » ص ٤٤

وعن موقف المؤمنين من تولى الكافرين « وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير » الأنفال ٤٠ . وعن موقفهم من احتشاد الكفر ضدهم « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » آل عمران ١٧٣

---

(١) راجع عروس الأفراح ٣/٢٦ والاتقان ٢/٣٨٢ .
(٢) راجع المعجم المفهرس ٧٠٩ وفي المادة بعض الآيات تركناها اكتفاء بما ذكرنا .



ومن جزاءات الآخرة :

« متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا » الكهف ٣٠ وقبلها من جزاء الظالمين « وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا »

ومن جزاء الذين اتقوا وتعقيبا عليه « وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين » الزمر ٧٤

وفى التائبين من الذنوب « أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين » آل عمران ١٣٦

وقال تعالى « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين » العنكبوت ٥٨

ونلحظ فى الآيات التى عقبت بالفعل نعم مدحا لبعض الأنبياء أو بيانا لكمال التفويض من المؤمنين أو مدحا وبيانا لجلال الجزاء الأخروى وعظمته نلحظ أن جملة المدح جاءت بالواو والفاء وبدونهما

ونبدأ بالآية « وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » واللفظ حسب بمعنى كاف إذا أضيف إلى ضمير المتكلم أو المتكلمين [1] وجاء بعده لفظ الجلالة فواضح فيه معنى الإخلاص والتفويض والدعاء المتبتل كقوله تعالى « فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت » ١٢٩ التوبة

« إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره ، أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون » الزمر ٣٨

---

(١) راجع المادة فى المعجم المفهرس ٢٠٠ ، ٢٠١ .

ومجيء هذه العبارة على ألسنة النبي الكريم والمؤمنين يدل على كمال التضرع والتسليم ومنه « وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله ورسوله من فضله إنا إلى الله راغبون » التوبة ٥٩

ونلحظ هذا الفصل بين حسبنا الله لما فيها من معنى الدعاء فهى إنشائية وبين سيؤتينا لأنها خبرية . ولذا جاء الوصل بين حسبنا الله ونعم الوكيل» لأنهما إنشائيتان الأولى دعائية والثانية لإنشاء المدح وعليه فليستا من عطف الإنشاء على الخبر .

أما آية التوبة ١٢٩ والزمر ٣٨ فما بعد لفظ الجلالة نعت له جار عليه .

أما التعقيب على الجزاءات المرضية بما يفيد جلال هذا الجزاء وعظمته تصويرا له ورغبا فيه فقد تنوع فى القرآن هذا التعقيب المفخم أسلوبا كقوله « وذلك الفوز العظيم أو والله ذو الفضل العظيم أو رحمة منا أو نعمة من عندنا أو نعم أجر العاملين مع تنوع فى الصياغة تناسبا مع النسق أو الجملة نعم أجر العاملين إذا جاءت بالفاء كآية الزمر ٧٤

والفاء فيها الترتيب والتعقيب وشيء من السببية تفخيما للجزاء . ونلحظ اختلاف فاعل القول فهو أولا « نتبوأ من الجنة ... » المنعمون والثانى : من جهة الحق سبحانه أو على ألسنة الملائكة ومنه « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » الرعد ٢٤

وقوله تعالى : ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون » كما أن التعقيب حين يعطف على الجزاء بالواو فهو لون من التفخيم والتكريم وإن كانت العبارة فى ذاتها دالة على دوام العطاء كما قال « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة »

وعلى التكريم وتفريح قلوبهم كما قال الرازى [١]

وزيادة التفخيم واضح جدا فى آية النحل « ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين » بلام التأكيد وواو العطف .

أما آية آل عمران « ونعم أجر العاملين » فقد جاءت الواو — والله أعلم لتبين أن جزاء التائبين « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم » الآية .

هذا الجزاء وإن قل عن جزاء المتقين « جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » فهو جزاء فخم فى ذاته تناسبا مع قدرة الله ورحمته حتى لا يظن أن نزول رتبتهم عن المتقين مؤثر كثيرا فى عظم جزائهم .

أما آية العنكبوت « نعم أجر العاملين » فقد جاءت على الأصل من الفصل ومثلها آيتا الكهف : متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب . وفى الظالمين الذم : بئس الشراب .

ربما جاء على الأصل آيتا داود وأيوب نعم العبد : وقوله تعالى : فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى فقد أعرب أبو حيان مولاكم خبر إن ويجوز أن يكون عطف بيان وجملة المدح خبر الله [٢] وعلى الإعراب الأول تجرى الجملة على لفظ مولاكم حالا أو خبرا ثانيا .

وفى الموازنة بين آيتى آل عمران والعنكبوت يرى الإسكافى والكرمانى أن الآية فى آل عمران مبنية على تداخل الأخبار والخبر إذا جاء بعد خبر

---

(١) تفسير الرازى ٢٥/٨٦ .

(٢) البحر ٤/٤٩٥ .

في مقام تفصيل المواهب المرغب فيها فحقه أن يعطف على ما قبله بالواو . فصار المعنى جزاؤهم ترك المؤاخذه بالذنب ودخول الجنة والخلود فيها ، وذلك تشريف وكرامة للعاملين ، أما في العنكبوت فالكلام فيها مدرج على جملة واحدة هي تبوئة المؤمنين غرفاً في الجنة وهي جملة ابتداء وخبر لم يعطف عليها بالواو لأن الجملة في موضع خبر المبتدأ كأنه قال ذلك نعم أجر العاملين وتجرى مجرى ما هو من تمام الكلام كقوله لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير [١] ويبدو أنهما لم يلحظا معنى الإنشاء في نعم فاجرياها مجرى الأخبار العادية .

صفوة القول أن الأصل فصل الجملة الإنشائية بنعم عما قبلها وإذا وصلت بالواو فذلك للتنبيه على مزيد الأجر وجليل الجزاء وسابغ الرحمة فكان الواو تفيد مزيداً من الاتصال بين المتعاطفين .

وكأن هذا الخروج عن المألوف في الصياغة كهذه الأساليب التي تخرج عن مقتضى الظاهر كالالتفات وكدخول هل على الجملة الأسمية وغير ذلك مما يحدث هزة نفسية وعقلية تستقطب الانتباه وتثير الفكر ومن عجب أن يأتي الأسلوب بالواو في آيتي آل عمران الأولى لبيان إشراقات الرحمة والمنة والفضل للتائبين والثانية في قوم باعوا أنفسهم لله حين هددوا بأن المشركين ألبوا عليهم « فزادهم إيماناً » فشفوف الإيمان الصادق قد تنامى وربا في صدورهم استعداداً للجهاد في سبيل الله وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فمع التفويض ثناء على الله والآية ذكرت ما نطقوا به تكريماً لهم وضرباً للأسوة النادرة لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم [١]

---

(١) راجع في معنى الآيتين ومناسبتهما أبا السعود ٢/٨٧ ، ٢/١١٤ .



وهذا لا يمنع أن الاختلاف خبرا وإنشاء كما أجازه الزمخشرى وصرح صاحب الأطول لا يمنع العطف فيما له محل من الإعراب[1] وفى البحر : « يشترط التناسب فى عطف الجمل بل قد يعطف الإنشاء على جملة الخبر والعكس خلافا لمن يدعى التناسب »[2] ومعنى التناسب التشاكل بين الجمل خبرية أو إنشائية وليس مراده المناسبة أو العلاقة الجامعة .

---

(١) الأطول ٢/٨ .
(٢) البحر ٨/٣٤٢ .

الواو بين الجمل المختلفة خبرا وإنشاء ولا محل لها

الفصل بشر :

جاءت الواو بين الجمل المختلفة خبرا وإنشاء وهى لا محل لهـا وقد أطلق على هذه الواو أنها استئنافية وللابتداء والقطع ورجح الزركشى أنها واو العطف ولكنها لا تفيد التشريك فى الحكم لا نفيا ولا إثباتا ولا فى الإعراب بل هى لمجرد الربط وللزمخشرى وجة من الرأى فيها حلله بمناسبة تأويله لآية البقرة وآية الصف :

قال تعالى : « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار .. » الآية . البقرة ٢٣ — ٢٦ وقال تعالى عن الإيمان والجهاد وجزائهما « يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » الصف ١٢ ، ١٣ .

والزمخشرى يرى أن الواو كما فى آية البقرة قد تجىء بين قصتين بأن تعطف مجموع جمل مسوقة لغرض على مجموع جمل أخرى مسوقة لغرض آخر

فيعتبر حينئذ التناسب بين القصتين دون آحاد الجمل قال السيد « وقد انفرد فى الكشاف بذلك إذ عطف الأمر يحتاج إلى ما يشاكله من أمر ونهى حتى يصح العطف ، وتبعه أبو البقاء والرازى وأبو حيان كما أجاز فى الكشاف أن بشر معطوف على اتقوا وتبعه الرازى وضعفه أبو حيان لأن عطف الأمر لمخاطب على الأمر لمخاطب آخر ، يحسن إذا صرح بالنداء وإلا فقد منعه النحاة ورأى السكاكى أنه معطوف على قل مقدرا قبل « يا أيها الناس » ورد بأن قوله تعالى : « وإن كنتم فى ريب » لا يصلح أن يكون مقولا للنبى صلى الله عليه وسلم ، واختار القزوينى أنه عطف على مقدر أى فأنذر وبشر كما قال فى الكشاف « واهجرنى مليا » أى فاحذرنى واهجرنى. قال السيد وهذا أحسن ما قيل ههنا » والسيد يشير إلى إفادة القزوينى من الزمخشرى على العموم وإن بدا أنه رأى مستقل وقد أيد الدكتور محمد أبو موسى — فى دراسته الجادة — الزمخشرى فى جعله الواو هنا ونظائرها من عطف القصة على القصة ، ولا شك أن فكرة عطف المضمون فكرة اجتهادية تتناسب وما قاله العلماء فى التناسب بين الآيات القرآنية وهو ما أشار إليه الدكتور محمد عبد الله دراز فيما سبق[1] .

وأما آية الصف عطف وبشر على تؤمنون لأنه بمعنى آمنوا وهو رأى

---

(١) راجع فى الآية : الكشاف بحاشية السيد ٢٥٤/١ والرازى ١٢٧/٢ والبحر ١١٠/١ والمفتاح ٢٥٩ وبغية الايضاح ٨٧/٢ والمطول ٢٦٣ والاطول ١٨/٢ ودلالات التراكيب ٣٤٦ والاتقان ٣٨٢/٢ .

(٦ — الوصل والفصل)



الزمخشرى ورد بأن الخطاب فى « تؤمنون » للمؤمنين وفى : بشر للنبى صلى الله عليه وسلم ، وبأن الظاهر فى تؤمنون أنه تفسير للتجارة فى قوله تعالى : « هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم » وليس فيه معنى الطلب ، ولذا قال السكاكى الأمران معطوفان على قل مقدره قبل « يأيها » وحذف القول كثير وقد بدأ أبو السعود بهذا الرأى لرجاحته[٢] .

ومن الآيات التى جاء فيها هذا الفعل : بشر بالأمر معطوفا فى الظاهر على جملة خبرية وتقدير العلماء أمرا معطوفا عليه قوله تعالى: « والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين » التوبة ١١٢ وقوله تعالى : « يأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا » ٤٦ ، ٤٧ الأحزاب أى فراقب أحوال الناس وبشر المؤمنين وفى آية التوبة أنذر وبشر وقد جاء صريحا فى آية يونس ٢ : « أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم » والواقع أن الفعل بشر بالأمر جاء فى تسعة عشر موضعا فى سبعة بالفاء وفى أحد عشر بالواو قدمنا نماذج لعطف القصة منها وعطف الأمر على أمر آخر مقدر مناسب وعطفه على أمر ظاهر كآية يونس كما جاء فى أسلوب واحد دون عطف فى قول الله تعالى : « إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم

---

(٢) راجع فى آية الصف : الكشاف ١٠١/٤ والرازى ٣١٨/٢٩ والمفتاح ٢٥٩ وأبا السعود ٢٤٦/٨ .

ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما » النساء ١٣٧ ، ١٣٨ وأمثل الآراء فيها ما ذكره الرازى ناقلا أن الآية الأولى فى المنافقين لتقلب حالهم ، والثانية فى جزائهم[١] .
وكأن الآية الثانية متصلة بالأولى على طريقة شبه كمال الاتصال والتداعى النفسى كأنه قيل : ما جزاؤهم ؟ فذكره بادئاً بالتهكم بهم بذكر بشر بدل أنذر ، وبذكر وصفهم القبيح ومكانهم وتمهيداً لسوء الجزاء .

وقال تعالى من آية الدين « ولا يضار كاتب ولا شهيد وأن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم » .

والعلماء على أن الأرجح فى « ويعلمكم الله » أنهما مستأنفة لا موضع لها من الإعراب ، وقيل فى محل نصب على الحال من الفاعل أى اتقوا الله مضمونا لكم التعليم والهداية ، وهو بعيد والجمل الثلاث الأخيرة كل منها مستقلة بنفسها — كما قال أبو حيان — لا تحتاج إلى ربط الضمير بل اكتفى فيها بربط حرف العطف ، وليست فى معنى واحد ، فالأولى حث على التقوى والثانية تذكر بالنعم والثالثة تتضمن الوعد والوعيد ، قال : وفيه رد على من يتمثل بها على أن التقوى تورث العلم دون تعلم » يعنى رحمة الله : أن القرآن لو أراد هذا المعنى لحذف الواو وجعل « يعلمكم الله » جوابا للأمر بالفاء أو بدون عاطف بل الآية تذكر بنعم الله المتعلقة بالعلم بمطلق الأشياء

(١) تفسير الرازى ٥

من المهد إلى اللحد تيسيرا للحياة وانتفاعا بالكون . أما العلم فهو أساس الإسلام وأساس التقوى ، والتقوى سبب من أسباب التوفيق فى شئون العلم والحياة جميعا . وإعادة لفظ الجلالة فى الجمل الثلاث تعظيما لأمره وتربية للمهابة وإدخال الروعة . أمرا بتقواه ، ومنا منه تعالى بنعمه ، ووعدا ووعيدا بمجازاة عادلة للفاسق والمتقى[1] تعظيما لشأنه ، ويرى البيضاوى وتابعه الشهاب أن قوله « ويعلمكم الله » وعد بالإنعام أى لإنشاء الوعد والجملة الثالثة لإنشاء المدح والتعظيم[2] .

والرأى بأن الجملتين الأخيرتين لإنشاء الوعد والتعظيم ، لا يدل عليه النسق أو القرائن ، وهو تأويل للعطف بوجه متكلف . والرأى ما تقدم من أن الواو لمجرد الربط اللفظى ، والجمل مستأنفة وبينها رباط معنـوى ، يسبكها سبكا واحدا ، أكده تكرار لفظ الجلالة فيها مسندا إليه ومفعولا به للاعتناء .

ومما جاءت فيه الواو للاستئناف ربطا بين جملتين قوله تعالى : عن المتشابه فى القرآن الكريم « وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » آل عمران ٧

---

(١) راجع فى الآية البحر ٢/٣٥٤ ومعنى الآية فى الرازى ١٧/٦١٩ وأبى السعود ١/٢٧١ .

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوى ٢/٣٥٢ .

رجح أبو حيان أن الجملة : والراسخون مستأنفة والواو للاستئناف فهى لمجرد الربط ذلك لأن الله مدح الراسخين لقولهم آمنا به . ولو كانوا عالمين بتأويل المتشابه على التفصيل لما كان فى الإيمان به مدح ، وهو قول ابن مسعود وأبى ، وابن عباس ، وعائشة والحسن ، وعروة ، وعمر بن عبد العزيز وحشد من التابعين والعلماء وهو يرد على رأى الزمخشرى والمعتزلة ومن اتبعهم فى إدراك العلماء للمتشابه بالتأويل وعليه فالراسخون معطوف على لفظ الجلالة وجملة يقولون : حالية .[١]

ولعلك أدركت الآن من إزجائنا لهذه الشواهد أن واو الاستئناف التى تأتى للربط بين جملتين اختلفتا خبرا وإنشاء لا يجوز أن تطبق عليها رأى الكشاف من أنه عطف مضمون جملة على جملة إذ توهم ذلك بين الفعلين المختلفين لا مساغ له كما ذكر سيد شريف الذى حلل الشاهد المصنوع الذى ساقه الزمخشرى وهو : زيد يعاقب بالقيد والإرهاق وبشر عمرا بالعفو والإطلاق ، فيبدو أن هنا جملة واحدة عطفت فى الظاهر على ما ليس يصح عطفها عليه من عطف الإنشاء على الخبر فيما لا محل له والجواب كما قال السيد الشريف: أنه أشار بما ذكره إلى قضيتين متقابلتين فكأنه قال : زيد يعاقب بالقيد والإرهاق فما أسوأ حاله وما أخسره فقد ابتلى وأحاطت به سيئاته الى غير ذلك مما يناسبه ، وبشر عمرا بالعفو والإطلاق فما احسن حاله ؟ وما أنجاه وأربحه ... الى أشياء أخرى تليق

---

(١) راجع فى الآية الكشاف ١/٤١٣ والبحر ١/٣٨٤ ودقائق التفسير لابن تيمية ٢/٩١ جمعه د. محمد السيد والبرهان ٤/١٠٣ .



بتلك البشارة »[1] وعلى هذا فرأى الكشاف مقيد بالقصص ونحوه من الكلام المشتمل على جمل.

ويتصل بهذا أن كثيرا من القصص القرآنى جاء بالواو وقليلا منه جاء بدون الواو كما أن الكلام المستأنف الجديد عن سابقه جاء بالواو وبدونها ولا شك أن هذا محتاج إلى تتبع واع دقيق، فإن لكل سياق دلالته الخاصة وإيحاءه واقتضاءه المعين الذى يوجب ذكر الواو أو تركها ثم إن مجىء الواو صدر القصص ينبىء عن علاقة بين المتعاطفات فى القصص من إثارة العبرة والتأمل، والوعد والوعيد وتثبيت قلب النبى صلى الله عليه وسلم وهذا كثير جدا نحو « واذكر فى الكتاب مريم »، واذكر فى الكتاب ابراهيم، واذكر فى الكتاب اسماعيل فى سورة مريم ومن المتشابه ما ذكره الكرمانى فى تعليل سقوط الواو فى قوله تعالى: « لقد أرسلنا نوحا الى قومه » الأعراف ٥٩ بدون الواو، وذكرها فى « ولقد أرسلنا نوحاً » فى هود ٢٥ والمؤمنين ٢٣.

لأنه لم يتقدم الأعراف ذكر رسول الله صلى عليه وسلم فيكون هذا عطف عليه، بل هو استئناف كلام، وفى هود تقدم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم مرات، وفى المؤمنين تقدم ذكر نوح عليه السلام ضمناً فى قوله: « وعلى الفلك تحملون » ١٢. لأنه أول من صنع الفلك، فعطف بالسورتين بالواو[2].

---

(١) راجع حاشية السيد على الكشاف ٢٥٤/١.
(٢) أسرار التكرار ٨٢ وحاشية الشهاب ١٧٨/٤.



ومن ذلك ما ذكره العلامة الطيبى فى شرح الكشاف عن قوله تعالى من سورة البقرة « يسألونك ماذا ينفقون » آية ٢١٥ « يسألونك عن الشهر الحرام » آية ٢١٧ « يسألونك عن الخمر والميسر » آية ٢١٩ « ويسألونك ماذا ينفقون » آية ٢١٩ « ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير » آية ٢٢٠ « ويسألونك عن المحيض قل هو أذى » آية ٢٢٢ .

ووجه العطف والترك على ما فى الانتصاف هو أن أول المعطوفات « ويسألونك ماذا ينفقون » هو ذات السؤال الأول بدون واو لكنه أجيب بالمصرف الأهم وإن كان المسئول عنه المنفق ، ثم أعيد ليذكر السؤال عنه صريحاً وهو العفو الفاضل عن حاجته فيتعين عطفه ليرتبط بالأول ، والسؤال عن اليتامى لما كان له مناسبة مع النفقة باعتبار أنهم إذا خالطوهم أنفقوا عليهم عطف على ما قبله ، ولما كانوا اعتزلوا عن مخالطة اليتامى ناسب ذكر اعتزال الحيض ، لأنه هو اللائق بالاعتزال فلذا عطفه لارتباطه بما قبله وإذا نظرت إلى الأسئلة الأول وجدت بينها كمال المناسبة إذ المسئول عنه : النفقة والقتال والخمر فذكرت مرسلة غير متعاطفة وهذا من بدائع البيان كما قال الشهاب[1] .

وعلى هذا فالاتفاق فى الغرض الخاص أو المعنى الظاهر مع الاتفاق فى الأسلوب وطريقته هو الذى يسوغ العطف أو وجود الواو الرابطة فإن فقد ذلك ولم يبق إلا التقاء فى الغرض العام بما يمكن أن تتم به معالجة الفكرة من نواحيها كان الفصل والقطع وتأمل ما قاله العلماء عن وجه الربط بين

---

(١) وراجع حاشية الشهاب ٢/٣٠٧ .



قوله تعالى « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » بعد آية الكتاب وأنه هدى للمتقين وصفات المتقين وجزائهم . وقوله تعالى : بعد جزاء المؤمنين « إن الله لايستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم» الآية : البقرة .

وقد صدرت الجملتان « إن الذين كفروا » « إن الله لا يستحي » إشعاراً بالانقطاع ومع نفي سيد شريف أن يكون استئنافا وقع جوابا عن سؤال وتضعيفه أن يكون كذلك متابعة للزمخشري والسكاكي رجح الشهاب والشيخ دراز أنه استئناف بياني[1] ويؤيده ما كثر في نظائره القرآنية من الجمع بين المتقابلات في النماذج والأحداث والأعمال والصفات والجزاءات دون عاطف قوة في الجزالة تصويرا وتداعيا للمعاني نفسيا يعني الإثارة والنظرية والجذب الأسلوبي .

وفي الآية : إن الله لا يستحي : فيها وجهان من الارتباط كما نقل الشهاب الأول ربطها بقصة المنافقين وتمثيلهم « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً » فهو تمثيل ثان يدخل منه المنافقون دخولا أوليا والثاني : أن الآية مرتبطة بآيات التحدي بالقرآن ذكرت لدفع الطعن عنه بعد ثبوت إعجازه وقال الطيبي نظم الآية بماقبلها نظم قوله إن الذين كفروا سواء عليهم .. » الآية في كونها جملة مستطردة والاستطراد من أدق وجوه الارتباط »

(١) راجع حاشية السيد ١/١٤٩ وحاشية الشهاب ١/٢٥٨ والنبأ العظيم ١٦٦ .



وفكرة الاستطراد فى الآيتين واهية جدا لا تناسب النظم القرآنى وتماثله وتناسبه العضوى والأرجح رأى الرازى الذى جعله الشهاب وجها ثانيا من وجهى الارتباط ، كما يبدو من تحليل الرازى لأن ، ونقله عن عبد القاهر فى وجوه استعمال إن فى تفسيره للآية الأولى إن الذين كفروا ما يشير إلى أنه يرى أنها جواب عن سؤال[١] .

وقد يختلف العلماء فى الواو بين كونها استئنافية أو حالية تتعلق بما قبلها كقوله تعالى « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق »[٢] فيرى الرازى أن الواو ليست عاطفة لتخالف الجملتين الإسمية والفعلية ، وليست للاستئناف لأن الأصل أن الواو تربط ما بعدها بما قبلها فيبقى أن تكون للحال وقال أبو حيان : « الجملة لا محل لها وتضمنت معنى التعليل كأنه قيل لفسقه » وقدمه أبو السعود وذكر القول بالحالية بصيغة التمريض .

على أن التخالف بين الإسمية والفعلية لا تمنع العطف ، صحيح من أن من تمام التناسب اتفاق الجملتين فى الاسمية والفعلية لكن قد يخالف هذا لأسرار بلاغية توجب الخروج عن المألوف حين يراد من الاسمية إفادة الثبوت والدوام نزولا على مقتضى المقام تأمل قوله تعالى « أولم يروا

---

(١) راجع الرازى ٣٦/٢ ، ١٣١/٢ والشهاب ٢٦٠/١ ، ٨٢/٢ .
(٢) الأنعام ١٢١ وراجع فيها الرازى ١٦٧/١٣ وليس فيه رأيه الذى نقله السيوطى فى الاتقان ٣٨٣/٣ وراجع البحر ٢١٣/٤ وأبا السعود ١٨٠/٣ .

إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن » الملك ١٩ لأن الأصل فى الطيران هو صف الأجنحة ، لأن الطيران فى الهواء كالسباحة فى الماء والأصل فيها — كما يقول فى الكشاف — مد الأطراف وبسطها، أما القبض فطارىء على البسط للاستظهار به على التحرك على معنى أنهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة والمشهد يبدأ بالسكون الكامل أعان عليه المد فى صافات ثم حركة حية بعدها[1] . وتلحظ فى جرس يقبضن بالقلقلة فى القاف وتوالى مقطعين مغلقين تصوير الحركة فى قوة وسيطرة وانتظام.

وتأمل التهديد الرهيب لطوائف النصارى أو اليهود والنصارى فى شأن عيسى وأمه عليهما السلام وإن جاء بالفاء قال تعالى : « فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم » مريم ٣٧ وهو يوم الهول الأعظم دلالة على ثبوت الويل والثبور أبداً وذكر كفرهم إفادة لعلة الحكم واستحقاق الجزاء[2] .

---

(١) راجع الكشاف ٤/١٣٨ ونظم الدرر ٢٠/٢٥٣ والتصوير الفنى ٦٩ .

(٢) راجع أبا السعود ٥/٦٥ .



النوع الثانى من كمال الانقطاع :

انتفاء الجامع بين الجملتين بسبب انتفائه عن المسند إليه أو المسند فيهما كقولك : زيد طويل وعمرو قصير إذا لم يكن بين زيد وعمرو علاقة ما ، وقولك ومحمد نائم إذ لا علاقة بين الطول والنوم . وانتفاء العلاقة والمناسبة يعنى أنه لا مكان للواو ، لضياع المناسبة والتشريك ، غير أن هذه المناسبة خاصة ، وهذا الجامع جامع نوعى خاص ، وننبه هنا إلى أمرين :

الأول : أن ضياع المناسبة العامة والخاصة بين أجزاء الكلام ضرب من البتر والخلط ، لا يقع فى كلام العقلاء ، وقد يحدث لبعض الشعراء أن تدركهم بعض الآفات النفسية فيغيب الوعى أو تهمد العاطفة ، فتجد الاقتضاب أو التخلص المستكره . بسوق الكلام سوقا دون رباط سواء جاءت الواو أم سقطت . وقد يحدث هذا عند كبار الشعراء كالمتنبى حين يقول :

أعز مكان فى الدنى سرج سابح وخير جليس فى الزمان كتاب
وبحر أبو المسك الخضم الذى له على كل بحر زخرة وعباب

فأى مناسبة بين نفع الكتاب وكرم أبى المسك كافور

وقوله :

أحبك أو يقولوا جر نمل ثبيرا أو ابن ابراهيم ريعا

وقول أبى تمام :

لا والذى هو عالم أن النوى صبر وأن أبا الحسين كريم

وقول المتنبى فيما نقل صاحب الوساطة من مآخذه :

جللا كما بى فليك التبريح   أغذاء ذا الرشأ الأغن الشيح

وقد أنكر أصحاب المعانى قطع المصراع الثانى عن الأول فى المناسبة بين شكواه من تعذيب التبريح والهوى له وبين استفهامه عن غذاء الحبيب وأنه عربى قح من سكان البادية . وخيانة الطبع ، وسقطات الشعر لاينجو منهـا شاعر موهوب ، ومثله شعر الحكمة والنصائح قد تجد حشدا من النصائح المتفاوتة لايجمعها إلا أنها نصائح كما تجد عند أبى العتاهية من قوله مثلا :

لا خير فى حشو الكلام   إذا اهتديت إلى عيونه

كل امرىء فى نفسه   أعلى وأشرف من قرينه

وقوله :

إنما المرء بأصغريه   كل امرىء رهن بما لديه[1]

الثانى : أن الجامع نوعان : جامع خاص ، ومناسبة خاصة وهى التى تصحح العطف ويوجد حيث توجد ، والثانى جامع عام . وعلاقة عامة تصحح ربط الكلام والتأوه ببعضه ، وسلامة تناسقه وهو كثير جدا فى القرآن يعتمد على إثارة كوامن النفس وتداعى المعانى والتصوير بالتضاد والمقابلة بحيث تكون المعانى أخيراً كلا مفصل الأجزاء متداخل الظلال كقول الله « ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا ، واتخذوا آياتى ورسلى هزوا

(١) راجع الوساطة ٢٤١ وما بعدها ، وجواهر البلاغة ٢٠٤

إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا »[١]

وقال تعالى « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر إنا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا »[٢] « أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر »[٣] وقال تعالى : « الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان، الشمس والقمر بحسبان»[٤] فالعلاقة الخاصة بين المسند إليه والمسند فى الجملتين معدومة ، لكن المناسبة العامة جلية لأن الشمس والقمر وما عطف عليهما أثر من آثار القدرة والرحمانية .

وفى سورة الحديد تتابع صفات الله وآثار صفاته . بدء السورة وآثار الصفات المتفرعة عن الصفات ولذا يجوز فى غير القرآن إظهار العلاقة التى تدركها النفس فى أثارتها فى شكل علاقة لفظية هى الفاء .

كقول الله : « وهو العزيز الحكيم ، له ملك السموات والأرض يحيى ويميت »[٥] « له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور ، يولج

(١) الكهف ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٢) الكهف ٢٩ ، ٣٠ .

(٣) الرعد ٢٥ ، ٢٦ .

(٤) الرحمن ١ — ٦ .

(٥) الحديد ١ ، ٢ .

«الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل»[١]

والواقع أن توزيع الحروف فى القرآن كالواو والفاء وثم، أو تبادلها أو إسقاط بعضها ومجيء الأسلوب على الاستئناف فى كل ماتشابه فيه السياق أو لم يتشابه فى كل ذلك محتاج إلى دراسة جادة تكشف النقاب عن أسراره وسع الطاقة وتتابع ما بدأه العلماء فى أسرار التنزيل.

ونكتفى هنا بشاهد أو شاهدين : قال تعالى فى سورة ق ٢٢ — ٢٨ «لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقال قرينه : هذا ما لى عتيد، ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد، مناع للخير معتد مريب الذى جعل مع الله إلها آخر فألقياه فى العذاب الشديد قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد».

قال الكرمانى : الأول خطاب الإنسان من قرينه ومتصل بكلامه :

والثانى : استئناف. خطاب الله سبحانه به من غير اتصال بالمخاطب الأول وهو قوله «ربنا ما أطغيته» ولذا جاء جوابه ألقيا هنا من غير واو : لا تختصموا لدى[٢] ويقرب أن يكون الأول من عطف أحداث متصلة بالإنسان والثانى يشبه أن يكون شبه كمال اتصال على تقدير سؤال فماذا قال القرين بعد إلقاء الإنسان الكافر فى جهنم وبيانا لتنوع الخطاب واتجاهه وجهة أخرى بين الله والقرين[٣] ومنه قول الله ٦٦ الأنعام : «فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا

(١) الحديد ٥، ٦.

(٢) انظر أسرار التكرار : للكرمانى ١٩٦.

(٣) انظر البيضاوى : الشهاب ٨/٩٠.

به يستهزئون ، ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم » وجاء هنا ألم يروا بدون عاطف لا لاختلاف الجملتين خبرا وإنشاء بل لقصد الاستئناف والاستدلال على إهلاك المكذبين وفى الاستفهام تقرير وتوبيخ ، وقد جاء هـذا التعبير فى آيات متشابهة بواو العطف أو بالفاء مؤخر عن الهمزة لتصدر الاستفهام .

« أو لم يروا كم أهلكنا ، أفلم يروا حيث يراد العطف بالواو أو الفاء لشدة الاتصال بما قبلها وحين يراد بالرؤية المشاهدة ولذا يقدر المعطوف عليه جملة محذوفة أى اكذبوا ، ولم يروا أى لم يشاهدوا مصارع المكذبين وبينها آية الأنعام الفعل يرى بمعنى يعلم ويعتبر ويستدل فانظر كيف كان ذكر حرف أو حذفه دالا على حشد من المعانى الخاصة التى يتعلق به[١]

(١) انظر المرجع ٦٥ .

الوضع الثاني من مواضع الفصل : كمال الاتصال :

بأن يكون بين الجملتين اتحاد تام ، وامتزاج معنوى كأنهما أفرغا فى قالب واحد ، بحيث تنزل الثانية من الأولى منزلة نفسها كأن تكون توكيداً لها أو بمنزلة التوكيد اللفظى أو المعنوى أو عطف البيان .

والتلاحم هنا بين الجملتين قياسا على الاتصال الشديد الذى يكون بين المفردات فى التأكيد اللفظى أو المعنوى أو عطف البيان فلا يمكن العطف فى قولك : جاء محمد أو أنت أنت قائم : أو جاء محمد نفسه ونجح القوم كلهم وسجد الملائكة كلهم أجمعون . وقمت الليل نصفه ، وذاكرت الكتاب ثلثه وجاء العالم محمد وتولى الخلافة أبو حفص عمر ، وذو النورين عثمان ، وفارس عدنان على رضى الله عنهم ، لأن التابع عين المتبوع والشيء لا يعطف على نفسه إذ لا مغايرة بينهما حتى تأتى بالواو وهكذا فى الجمل التى تكون على أنحاء ثلاثة :

١ — أن تكون الثانية بمنزلة التوكيد من الأولى ، دفعا لتوهم التجوز والغلط وهو قسمان :

أن تنزل منزلة التوكيد المعنوى ، فتفيد التحقيق والتقرير مع الاختلاف فى المعنى ، لكن يلزم من ثبوت معنى أحدهما ثبوت معنى الأخرى كقوله تعالى : « ألم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه ،هدى للمتقين »[1] فهذه ثلاث

(١) البقرة ١ ، ٢ وراجع الكشاف ١٢٢/١ .



جمل : جاءت الأولى معرفة الطرفين لتفيد أن الكتاب بلغ الغاية القصوى من الكمال ورفعة القدر والمنزلة ، تقريرا لجهة التحدى .

ويترتب على ذلك أنه لا يحوم حوله ريب إلا جزاما ، أو قبل تأمله فأتبعه : لا ريب : أى بلوغه الغاية من الكمال ، وأنه من عند الله ، وقوله هدى للمتقين تأكيد ثان ، إذ معناه أنه ذروة الهداية حتى كأنه ذاته هداية محضة . وهذا مفاد من الأخبار بالمصدر : أى هو كما تقول هو عدل وذوق .

وهذا معنى قوله : ذلك الكتاب ، فهذه الجمل الثلاث تحوم حول حقيقة واحدة ومعنى واحد وهو كماله التام فى النفع والهداية ومنه قول الله تعالى لقمان ٧ « وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها ، كأن فى أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم » وهذا فى النضر بن الحارث وكان عنيدا يلهى قريشاً بأساطير الأوائل . والجملة : كأن لم يسمعها تترقى فى معنى إعراضه وأنه لعدم تأثره والانتفاع به كأنها لم تصل سمعه ، وقد يكون سمعه صحيحا فبالغ وترقى فى النفى بقوله كأن فى أذنيه وقرا ، فعدم سمعه - على التشبيه - لخلل فى أذنيه لا يستطيع السماع حتى وإن أراد ، فالمعانى تتلاقى عن طريق اللزوم والتداعى .

والإكمال ورسم صورة كاملة للاغراض ، والتأكيد كما يرى عبد القاهر فيها واضح ، على أساس الاستئناف المفيد لتوكيد بين الجمل ، فإن أعربت

الجملتان حالين فى محل نصب كانا بمنزلة المفرد [١] وخرجا مما نحن فيه. ومنه قول الله تعالى : « وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون » [٢] قال الخطيب : لأن قوله : إنا معكم : معناه الثبات على اليهودية ، وقوله « إنما نحن مستهزئون » رد للاسلام ودفع له منهم ، لأن المستهزىء بالشىء المستخف به منكراً له ودافع له ، لكونه غير معتقد به ، ودفع نقيض الشىء تأكيداً لثباته ويحتمل الاستئناف : أى فما بالكم إن صح أنكم معنا توافقون أصحاب محمد يعنى شبه كمال الاتصال . وليس المراد أنهم يهود بل منافقون يتبعون اليهود فى الكيد للاسلام ، والالتقاء هنا بطريق المفهوم واللزوم وفيه شاغل للذهن والفكر .

والقسم الثانى من التوكيد أن تنزل منزلة التوكيد اللفظى كقوله تعالى : « فمهل الكافرين أمهلهم رويداً » [٣] واللفظ متحد والمعنى أيضا والتوكيد هنا يصور التهديد الحاد بالعقاب الأليم . وخالف بين اللفظتين زيادة فى التعبير والتسلية .

الثانى مما يكون من كمال الاتصال : أن تكون الثانية بدلا من الأولى والبدل يعنى أن الجملة الأولى غير وافية تماما بالمعنى المعنى به ككونه عجيبا ولطيفا ومثيرا أوقطعيا فتأتى جملة البدل لتكمل المراد وتستوفى المعنى قال تعالى . « واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات

---

(١) راجع دلائل الاعجاز ١٥٠ والكشاف ٣/٢٣٠ وبغية الايضاح ٧٣/٢
(٢) الآية ١٤ بالبقرة وراجع الكشاف ١٨٦/١ وبغية الايضاح ٧٣/٢
(٣) الطارق ١٧ وراجع الكشاف ٢٤٢/٤ .

وعيون [1] ففى الجملة الأولى أحال امتداد الله لهم بالنعم على علمهم لتشغل عقولهم وأنفسهم فى تأملها واستعراضها ثم عددها لهم مركزاً على أخطرها فكأنه شغل حواسهم كلها فى دعوته وأعاد المعنى فى صورتين ، والجملة الثانية وهى تمثل بدل البعض دالة فى تسجيل النعم وتعديدها وهم لا يقدرون لا يملكون لها دفعا وقد تنزل الثانية منزلة بدل الاشتمال من متبوعها ، كقوله تعالى :

« اتبعوا المرسلين . اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون » [2] وغالبا فى القرى التى تدعى إلى الله نجد المترفين الأغنياء هم القادرة وهم أحرص الناس على الدنيا والمال ، كقول الله فى سورة الزخرف « وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها : إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون » [3] ولذا تكررت هذه النغمة كثيرا وهى أنكم فى اتباع الرسل لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة الاعتقاد وقد وفت جملة البدل بالغرض من ناحية عدم الخسارة المادية ومن ناحية أن الذى قصده فى الهداية فهو خير كله . وقال تعالى : المؤمنون ٨١ ، ٨٢ « بل قالوا مثل ما قال الأولون . قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون » والبدل هنا يصور هذا التعجيب والاستغراب من بعثهم فى حال غريبة هو كونهم ترابا وعظاما .

---

(١) الشعراء ١٣٢ ـ ١٣٥
(٢) يس ٢١ ، ٢٢ .
(٣) الآية ٢٣ .

والثالث أن تكون الجملة الثانية بيانا للاولى وتوضيحا وتفسيرا وهذا يعني أن في الأولى شيئا من الإبهام والغموض يحتاج إلى كشفه وإيضاحه قال تعالى : فوسوس إليه الشيطان قال ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد « وملك لايبلى » طه ١٢٠ فقد فصل جملة قال عما قبلها لكونها ترجمة عن الوسوسة وتفسيرا لها .

ومنه : ماهذا بشرا إن هذا ملك كريم » يوسف ٣١ ويجوز أن يكون مؤكدا .

ومنه : « وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ، يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم » ٤٩ البقرة .

فتذبيح الأبناء واستحياء النساء تفسير وتوضيح لسومهم العذاب .

ومثله ٦ إبراهيم « وإذ قال موسى لقومه : اذكروا نعمة الله عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم » . قال الكرماني عليه رحمة الله « ذكر : تذبحون بغير واو هنا (البقرة) على البدل من يسومونكم ، وفي الأعراف (يقتلون) بدون واو وفي ابراهيم (ويذبحون) بالواو لأن ما في سورة البقرة والأعراف من كلام الله فلم يرد تعداد المحن عليهم والذى في سورة ابراهيم كلام موسى فعدد المحن عليهم [1] .

(١) قال في المطول : حيث أثبتت الواو وجعل التذبيح مستقلا لأنه أوفى على جنس العذاب كأنه جنس آخر ولم يرد التفسير كالأول ـ ٢٥٧ مطول .

وكان مأموراً بذلك فى قوله « وذكرهم بأيام الله » (١) ويرى الشيخ عبد المتعال الصعيدى رحمه الله أن مواضع كمال الاتصال كلها يجب فيها ترك العاطف من ناحية النحو لا من ناحية البلاغة وهو ملتفت إلى البهاء السبكى فى هذا ونظيره كمال الانقطاع السابق وهذا شىء كأنه خارج على الإجماع البلاغى دون مبرر فنى . وسبق أن البلاغـة استثمار لمعانى النحو والتماس لأسرار التراكيب المصممة على السنن النحوى ، وما البلاغـة إلا علاقات النحو فى صورة راقية من التعبير ، ثم إن النحو أو غيره لا يمنع ـ حين يقتضي المقام ـ أن تـكون الجملة المؤكدة معطوفة بالواو ـ والأصل كمال الاتصال وهو اقتضاء قوى يخرج عن عموم القاعدة وهى أن الشىء لا يعطف على نفسه ، تأمل قول الله تعالى عن بلقيس « قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها ، وجعلوا أعزة أهلها أذلة ، وكذلك يفعلون » النمل ٣٤

والجملة تأكيد تبين أن ذلك الإفساد عادة ثابتة مستمرة لا تتغير (٢) وقال تعالى « وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » آل عمران ٤٢ قيل كرر « واصطفاك » على سبيل التوكيد والمبالغة وقيل لا توكيد وللزمخشرى رأى وهو اختلاف الاصطفاءين اصطفاك أولا حين تقبلك من أمك ورباك ، واختصك بالكرامة والطهارة مما قذفك به اليهود ، واصطفاك آخرا بأن وهب لك عيسى من غير أب ولم

---

(١) أسرار التكرار ٢٧ .

(٢) الكشاف ١/٤٢٩ والبحر ٢/٤٥٦ .

يكن ذلك لأحد من النساء.[١] وحسن هذا الرأي كثير من العلماء وقال تعالى «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد واتقوا الله» الحشر ١٨.

كرر الأمر الثاني بالتقوى تأكيدا للاول أو لا تكرير لاختلاف التقدير في متعلق التقوى في الفعلين فالأول: اتقوا الله في أداء الواجبات لأنه قرن بما هو عمل واتقوا الله في ترك المعاصي[٢].

وقال تعالى «كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا» القمر ٩ كرر التكذيب لأنه قرن بما يجري مجرى الوعيد.

أو كذبوا تكذيبا عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب[٣] وكان فيه أستيما بالهذا الامتداد الزمني المتطاول من تكذيب الأجيال بدليل «ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا». نوح ٢٧ و كثير من الآيات التي أولها العلماء على أن المكرر فيها له دلالة خاصة أو معنى معين اهتماما بهذه الأحداث وأن لها هذا المعنى الجديد، وفكرة التغاير الفعلي قواه السبكي فالمكرر الظاهري: اصطفاء ثان وتقوى ثانية وهكذا وقال «إن تسمية النحاة لها تأكيدا مجاز لأن التأكيد الاصطلاحي لايفصل بينه وبين متبوعه»[٤].

---

(١) راجع الكشاف ٣/١٤٧ والبحر ٧/٧٣.
(٢) الكشاف ٤/٨٦ والبحر ٨/٢٥٠.
(٣) راجع الكشاف ٤/٣٧.
(٤) عروس الأفراح ٣/٨٨.

وقد وضح الخفاجى القضية ونقل أن قولك « وحقك ثم حقك » الحلف يقتضى التغاير وينزل التغاير بين المؤكد والمؤكد منزلة التغاير بين الذاتين ، بوجه خطابى ، ولايدعى التغاير الحقيقى كقوله تعالى « كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا » أى كذبوه تكذيبا عقب تكذيب قال ابن مالك فى التسهيل « فصل التوكيد بثم — إن آمن اللبس — أجود من الوصل وذكر بعض النحاة الفاء والزمخشرى الواو فى الجاثية واتفق النحاة أنه تأكيد اصطلاحى وكلام أهل المعانى فى اطلاقه غير سديد »[1]

وآية الجاثية « إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين »٣٢ قال فى الكشاف « زيد نفى ماسوى الظن تأكيدا بقوله « وما نحن بمستيقنين » [2] وإن كان اللفظ مختلفا فهو تأكيد للمفهوم .

وقد تداخل مع عطف التأكيد عطف المكرر وهو منحصر فى القرآن على أوجه : تكرار اللفظ أو الفعل كقوله : « كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا » طه ٣٣ ، ٣٤ وما سبق قريبا وتكرار للتعبير نحو « الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة » الحاقة ١ — ٤ .

وكذلك أو القارعة وقال تعالى « أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى » القيامة ٣٤ ، ٣٥ ولا يسمى تأكيدا لأنه لم يجىء على صورة التأكيد من الاتصال ، وعدم الفصل ، بين المتبوع والتابع ، ومنه تكرار القصص

---

(١) راجع الشهاب ٨/ ٩٠ وبغية الايضاح ٢/ ٧٦ .

(٢) الكشاف ٣/ ٥١٤ .

القرآنى ، كقصة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عدا بعض القصص كقصة يوسف ، والخضر وذى القرنين وأهل الكهف ، والتكرار يختلف عن التأكيد فهو لا لتصوير المعنى فحسب بل هو للتأسيس وإفادة معنى جديد وإن رأى كثير أن التكرار للتأكيد فى الآية : « كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون » التكاثر ٣ ، ٤ .

الجملة الثانية تأسيس لإبلاغ الثانية فى التهديد والإنشاء قال الزمخشرى « وثم » دلالة على أن الإنذار الثانى أبلغ من الأول وأشد يريد بأبلغ من البلاغ والأداء لا البلاغة وتنقل المفسرون عن الإمام على كرم الله وجهه : كلا سوف تعلمون فى القبور . ثم كلا سوف تعلمون فى البعث غاير ما بينهما بحسب المتعلق وتبقى ثم على بابها من المهلة فى الزمان (١) .

وقالوا فى قوله تعالى « فمهل الكافرين أمهلهم رويدا » الطارق ١٧ غاير بين اللفظين صياغة لزيادة التسكين والتصبير والتسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (٢) .

وقضية المكرر فى القرآن واسعة متشعبة ليس هذا مجالها ونكتفى بالقول بأن المكرر مطلقا سواء تداخل مع التأكيد أم انفرد عنه وسواء وافقه عند العلماء أم اختلف عنه التكرار فى أغلب مواطنه نازل على

---

(١) راجع الكشاف ٤/٢٨١ والبحر ٨/٥٠٨ .
(٢) راجع الكشاف ٤/٢٤٢ .

مقتضى المقام ، ونسمح لأنفسنا باستعمال التعبيرات المجازية فنقول : حين يحمى الموقف ويتوتر المقام ، وتتداخل المشاعر المثارة ، ويحتد الأسلوب ويتوهج الانفعال وينتشر ويترق الحديث صاعدا عالى النبرة ، جهير النغمة ، ولذا يتكرر التعبير ليتوزع فيه الانفعال بحيث لو حذف المكرر لكان التعبير مبتوراً كصيحة لم تتم ، أو جملة لم تكتمل ، ويتضح هذا فى مقامات التهويل والتفخيم والتعظيم بمهول معظم لا يدرك كنهه ، إنذاراً ملتهباً كما سبق فى « الحاقة ما الحاقة » « القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث » القارعة ١ — ٥ وله مواقف أخرى كثيرة كمقام الدعوة إلى الله . حين ينتشر شعور الأمن والوهد والحب والحرص الأبيض الملتهف على إيمان المدعوين ، إن نبض الداعية وأشواق فؤاده تنعكس على الألفاظ إشعاعا إيمانيا حنونا فيتكرر النداء دوماً يا قوم مثلا « وقال الذى آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد . يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع » غافر ٣٨ ، ٣٩ .

وانظر : التكريم وعفو الرحيم الودود وتأمل موقع « ربك » فى النسق وما يؤديه من معانى الربوبية والتربية والنعمة والود والحث على التوبة « ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم » النحل ١١٩ .

أما تكرار الفعل فى جملة معطوفة فى الآية أو فى آية مستقلة فالعلماء على أنه لا تكرار لاختلاف المتعلق كما سبق فى آية مريم « إن الله اصطفاك » وآية التقوى : اتقوا الله ولتنظر نفس ... » وآية التكاثر

وفي آية مستقلة مكررة كما في سورة الرحمن « فبأى آلاء ربكما تكذبان » التي جاءت إثر كل نعمة ظاهرة أو خفية ترغيبا في الاعتراف بها والشكر عليها. قال السبكي لو كان ما يعود اليه الشيء واحداً لما زاد عن ثلاثة لأن التأكيد لا يبالغ بأكثر من ثلاثة أما هنا فقد ذكر الشيء في مقامات متعددة[١] .

واتفق النحاة على أنه تأكيد اصطلاحي وكلام أهل المعاني في إطلاقه غير سديد[٢] .

الثالث : — شبه كمال الانقطاع : وهو أن يفصل بين الجملة الثانية، والأولى لأن عطفها يوهم عطفها على غيرها ، ويوهم معنى غير مراد . كقول الشاعر :

وتظن سلمى أنني أبغي بهــا بدلا اراها في الضلال تهيم

فلم يقل « وأراها » وهو احتمال أو افتراض لا يتقبله البيت لئلا يتوهم السامع أنه معطوف على أبغي وهو غير مراد ، والبيت يحتمل الاستئناف لشبه كمال الاتصال . ومنه :

يقولون إني أحمل الضيم عندهم أعوذ بربي أن يضام نظيري

ومنه على رأي قول الله : « وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا انا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزىء بهم » البقرة ١٤ فلو قال : والله : لأوهم

---

(١) راجع عروس الأفراح ٣/٢١٩ والبرهان ٣/٢٢ والاتقان ٣/٢٢٩.
(٢) راجع شروح التلخيص ٣/٨٨ والبغية ٢/١٣٦ والشهاب ٨/٩٠.

العطف على جملة قالوا ، والشرط قيد ويكون المعنى : أن الله يستهزىء بهم وقت خلوهم بشياطينهم وهو محال . أو يوهم العطف على جملة : انا معكم ، وهى مقول القول ويكون المعنى أن استهزاء الله بهم من مقولهم . وهو أشد احالة وتمزيقا للمعنى . وهذا محل للقطع لا قيمة له ، بل الاستئناف هنا لدحض الكلام ونقضه[1] .

الرابع من مواطن الفصل : شبه كمال الاتصال :

وهو المسمى بالاستئناف البيانى ، فالجملة الثانية بمنزلة المتصلة بها أى الجملة الأولى ، لكونها جوابا لسؤال اقتضته الأولى ، فتنزل الأولى منزلة السؤال والثانية جواب يتصل ويلتحم بالأولى دون عطف وهذا الموطن أهم مواطن الفصل وجل الكلام عليه ، ويكثر كثرة فائقة الحصر والعد فى القرآن الكريم والحديث الشريف ، وكلام البلغاء ، لأنه أسلوب نفس ، يشترط المخاطب فى ترقب الأسلوب وصياغته فالجملة الأولى دائما تكون مكتنزة فيها بعض من الظلال والغموض الخفيف ، انها ليست واضحة جدا بحيث يمكن الوقوف عنها والسكوت عندها . بل تثير فيضا من الاستفسارات والاستفهامات . تثار حتما فى نفس المتلقى ، تجذبه وتشركه فى الصياغة ويكتفى الأسلوب بما يثيره فلا يظهر مصرحا به ، بل يظل مكنونا فى الأسلوب والضمير فى منطقة الظل ثم تأتى الجملة الثانية تجيب عن السؤال ، وتطفىء أشواق النفس أو ترى ظمأها ، وتشبع هذا التطلع

(١) راجع المطول ٢٥٧ ودلالات التراكيب ٣٤٣ .



العاطفى للمجهول فيتأكد المعنى من الناحية العقلية ويحقق المتعة النفسية وإشباع حاسة الفن والجمال ولذا قال السكاكى :

لا يصار إلى هذا الأسلوب إلا لأسرار ونكات عالية . وهنا شيء آخر نحسه دائما فى الأساليب التى تبنى على الحذف » أو التقدير أعنى توزيع الذكر والحذف فى العبارة بتفنن يشبه توزيع التلوين والظلال . فى اللوحة الفنية ومن ثم اعتدنا أن نعد الحذف أو التقدير منطقة مظللة فى العبارة تثير وتشوق ، وتمتع وتربط التراكيب فى سبك جيد واتصال قوى يرى المجهول ظاهره فيعتقد أن الأسلوب لا باطن له ، ولا خبء ويكثر هذا فى مواطن التقابل فى القرآن ، لأن كثرة من النماذج البشرية القرآنية متقابلة متصلة بعضها ببعض لا تنفصل كالمؤمنين بأقسامهم من متقين وأبرار وسواهم والكافرين من مشركين ويهود ونصارى والمنافقين بسماتهم وصفاتهم ، ومعرفة صفات كل نوع وجزائه يستلزم عقلا ، وعرفا واهتماما نفسيا والتطلع إلى معرفة المقابل وما له عليه ، مع ما فيه من تصوير كاشف وتأكيد موضح ، تأمل الآية « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » جاءت مفصلة عقب ذكر المتقين وجزائهم ، أول سورة البقرة على سبيل الاستئناف وأنه تبنى على تقدير سؤال — كما يقول الشهاب . وذلك إدراج له فى حكم المتقين ، تابع له فى المعنى — وإن كان مبتدأ فى اللفظ وهو فى الحقيقة كالجارى عليه .

وقد فصل ذلك شيد شريف فى حاشيته على الكشاف والسعد فى المطول



وعلى هذا فليس الشيخ دراز أول من جعل القطع هنا للاستئناف كما ذهب بعض المعاصرين[1] .

وحين يكون القصد إلى الاستقلال والمغايرة تأتى الواو كقوله تعالى : « إن الأبرار لفى نعيم ، وإن الفجار لفى جحيم » والاستئناف على ثلاثة أضرب :

١ — السؤال عن سبب الحكم مطلقا . بأن تجعل الجملة الثانية جواباً عن سؤال عام تقديره : ماهو ؟ أو لماذا أوما السبب ؟ فهو سؤال عن المقصود كقول الله « ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم » وقيل هذا النوع من النوع الثانى الآتى ، وقال تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم » ومنه « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم . وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا : يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً » .

وقال الشاعر :

وقد غرضت من الدنيا فهل زمنى ... معط حياتى لغر بعد ما غرضا

جربت دهرى وأهليه فما تركت ... لى التجارب فى ود امرئ غرضا

---

(١) راجع الكشاف بحاشية للتسيد ١/١٥٠ والمطول ٢٥٩ والنبأ العظيم ٢٦٢ ودلالات التراكيب ٣٥٨ .

وغرضت : ضجرت والغر : الغافل أي غرة جاهل لم يجرب مثلي ،
وقد فصل جملة : حريت : لأنها سبب عام لضجره من الدنيا .

٢ — السؤال عن سبب خاص : كقول الله تعالى : « وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء » وذلك أن الجملة الأولى وهي على رأي من قول سيدنا يوسف ، أثارت سؤالا خاصا . فيه تعجب واستغراب ؟ .

لماذا لا يبرئ نفسه ، هل النفس أمارة بالسوء ؟ فكان الجواب : إن النفس لأمارة بالسوء . وفيه تأكيدان : إن واللام : قالوا ليس هنا إنكار ولكن تأكيدا منهما لأن الخبر طلبي، وتأكيداً منهما لغرابة الحكم وصدوره من نبي معصوم وإن كان حكما ينطبق على كل نفس[1] قال الخطيب : وهذا الضرب يقتضي التأكيد ، يعني لأنه خبر طلبي وقد جاء الأسلوب غير مؤكد في قول الشاعر :

إذا ما الدهر جر على أناس [illegible] كلاكله أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا : أفيقوا [illegible] سيلقى الشامتون كما لقينا

هكذا قال الشيخ عبد المتعال الصعيدي[2] ويمكن الرد بأن السين هنا

---

(١) ولهذا جاء الاستثناء (إلا ما رحم ربي) أي رحمة من النفوس والمستثنى نفس يوسف واضرابه والمراد هضم النوع البشري اعترافا بالعجز لولا العصمة الشهاب ١٨٧/٥ .

(٢) بغية الإيضاح ٨٠/٢ وفي المغني أن السين عند الزمخشري اذا دخلت على ما يفيد الوعد أو الوعيد تقتضي توكيده كقوله تعالى فسيكفيكهم الله اولئك سيرحمهم الله ١٣٩/١ .

التأكيد على رأى الزمخشرى والتأكيد عموما للاستحسان كما قال السعد فإذا قلت : اعبد ربك : إن العبادة حق : فهو جواب لسؤال خاص . وإذا قلت : العبادة حق : فهو لمطلب السبب وقد تأتى فاء الاستئناف : لتكون الجملة جوابا عن مطلق السبب تقول : فالعبادة حق ومن السؤال الخاص : ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا أنهم مغرقون » وقال « إنى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون » .

٣ — أن تكون الجملة الثانية جوابا عن غير السبب عن شىء آخر له تعلق بالجملة الأولى غير التعلق بالسبب يقول الله تعالى عن الملائكة ، وإبراهيم : قالوا سلاما . قال سلام ؟ أى فماذا قال لهم إبراهيم فى جواب سلامهم . فقيل : قال: سلام . حياهم بأحسن من تحيتهم ، لأن تحيتهم كانت بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث أى مسلم سلاما ، وتحيته بالإسمية الدالة على الثبوت والدوام أى سلام عليكم »[1] وهذا اللون يكثر فى محاورات القرآن ، وبخاصة تلك المحاورات التى فيها جدال وحدة وتحفز وإثارة ومغالبة . ونقتطف شيئا من هذه المحاورة الانفعالية بين نبى الله موسى عليه السلام ، وعدوه فرعون : من سورة الشعراء :« قال فرعون : وما رب العالمين ؟ قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون . قال ربكم ورب آبائكم الأولين ، قال : إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون . قال رب المشرق والمغرب . وما

---

(١) انظر شروح التلخيص ٦٠/٣ .

بينهما إن كنتم تعقلون . قال . لئن اتخـذت إلها غيرى لأجعلنك من المسجونين . قال : أو لو جئتـك بشىء مبين ، قال فأت به إن كنت من الصادقين . فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين »[1] . والسؤال فى هذا اللون قد يكون عن الفاعل أو غيره من مشتملات الجملة الأولى كقول الوليد بن يزيد الأموى :

عرفت المنزل الخالى عفـا من بعد أحوال
عفـاه كل حنـان عسوف الوبل هطـال

وعفا : درس . والحنان : السحاب ، وعسوف الوبل : شديد المطر والسؤال هنا عن الفاعل للعطاء وقال المتنبى :

وما عفت الرياح له محلا عفاه من حدا بهم وساقا

فلما نفى أن تكون الرياح قد محت منازل الربع ، وجعلته خرابا كان مظنة أن يسأل عن الفاعل وقد عينه . بأنه هجران الأحبة وارتحالهم على إبل يحدوها السائقون .

وهناك تقسيم آخر للاستئناف مرتبط بالتقسيم الأول :

فالاستئناف أو الجـملة المستأنفة قـد تأتى باعادة اسم ما استؤنف عنه ويكون رابطا بين الجملتين نحو : أحسنت إلى زيد : زيد حقيق بالإحسان وأبلغ منه ما يبنى على صفته نحو أحسنت إلى زيد صديقك القديم أهل للاحسان ، وهو مشتمل على الصفة منطو على بيان السبب ، إذ الوصف

(١) الآيات ٢٣ ــ ٣٣



علة للحكم ، وقد يعقب المستأنف عنه فى الجملة الأولى بصفات ، ثم يذكر فى الاستئناف باسم الإشارة مبينا حكما يترتب على الصفات كقول الله تعالى :

« ... والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ، وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون »[١]

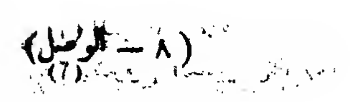
ونحو : « فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم ، وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط ، وأثل ، وشىء من سدر قليـل ، ذلك جزيناهم بما كفروا »[٢]

ومما أعيد فيه الاسم ؟ « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ، تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر ، يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم ؟ النـار ، وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير »[٣].

فهو يصف فى دقة بالغة ، حنقهم وغيظهم المتلظ حين يسمعون آيات القرآن ، يكاد الاجرام والقهر يدفعهم إلى الإيقاع والاعتداء الغائظ على من يتلو القرآن ؟ ثم يصعد القرآن المدى على طريق السخرية من عنف انفعالهم — وانقلاب سحنهم : أفأنبئكم بما هو أشد خطرا ؟ وشرا ؟ فى نظركم ؟ استفهام حاد يثير استفهاما هاما عن هذا الأخطر ؟

---

(١) البقرة ٤ ، ٥ .
(٢) سبأ ١٦ ، ١٧ .
(٣) الحج ٧٢ .



فيأتى الجواب موجزا مركزا مكثفا ، كلمة واحدة كطلقة مدفع نافذ وهى بوقعها المخيف النافذ تثير سؤالا آخر : ما شأنها : فيكون الجواب والحكم النافذ « وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير » وقد حذف هنا صدر الاستئناف أو المبتدأ و بقى الخبر . ومنه : « يسبح له فيها بالغدو والآصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة »[1] على قراءة بناء يسبح للمفعول ؟ أى يسبحه رجال .[2]

ففيه اكتفاء أى الحذف من كل جملة بما يقابل مذكورا فى الأخرى مع حذف السؤال المقدر فكأن مواطن التظليل تكثر وعلى النفس ملؤها إثراءا كا لها ، واستثمارا لقواها .

(١) النور ٣٦ ، ٣٧ .
(٢) شروح التلخيص ٣/٦٤ .



مواطن الوصل :

وهما موطنان :

١ — كمال الانقطاع مع الإيهام

بمعنى أن تختلف الجملتان : الجملتان خبرا وإنشاء الفصل يوهم بخلاف المقصود . كقول سيدنا أبي بكر لرجل : «أتبيع هذا الثوب ؟ قال : لا عافاك الله » قال : لقد علمتم لو كنتم تعلمون . قل لا وعافاك الله ، وفي رواية : لا ويرحمك الله ـ ومن الأدب النبوي حديث الأعرابي الذي جبذ الرسول صلى الله عليه وسلم جبذة عنيفة من طوقه ، حتى حمر رقبته . وقال : احمل على بعيري هذين فأنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك — فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا وأستغفر الله، لا وأستغفر الله ، لا واستغفر الله » [1] قالوا : وسأل هارون الرشيد وزيره عن شيء فقال : لا وأيد الله الخليفة ، فسر به ، وقال الصاحب بن عباد الوزير الأديب المتفنن تعليقا خفيف الظل : هذه الواو أحسن من الواوات في خدود الملاح : يريد خصل الشعر المتدلية على الوجنة أو العذراء :

وهذا الموطن لا يوجد له شاهد قرآني والحسن فيه محدود .

٢ — الموطن الثاني : التوسط بين الكمالين : أي التوسط بين كمال الانقطاع وكمال الاتصال وهو ضربان :

(١) التاج ٥/٦٥ .

الأول : أن يتفقا خبرا وانشاء ، لفظا ومعنى مع وجود الجامع كقوله تعالى « إن الأبرار لفى نعيم ، وإن الفجار لفى جحيم »[١] . وقوله تعالى : « يخرج الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى »[٢] .

وقال : يخادعون الله وهو خادعهم »[٣] ونحو :« كلوا واشربوا ولا تسرفوا »[٤] والعطف هنا : يعنى المناسبة الخاصة المبررة للعطف، ويعنى أيضاً المغايرة والمخالفة بينهما واستقلال كل معنى بذاته .

الثانى : أن تتفق الجملتان فى الخبرية ، أو الإنشائية معنى فقط والواقع أن المعنى الخبرى أو الإنشائى هو الأهم ، والصورة الشكلية خبرا وإنشاء ليست مقصودة لذاتها ولذا فهذا التقسيم عند الخطيب لا يفيد كثيرا ، قال تعالى : « وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله ، وبالوالدين إحسانا وذى القربى واليتامى ، والمساكين ، وقولوا للناس حسنا »[٥] عطف قولوا على : لا تعبدون لأنه بمعنى اعبدوا » .

وقد نرى فى اختلاف الصياغة فوق ماقالوه : من يناسب الصياغة مع أهمية الحدث وخطورة الدعوة إليه ، فبدأ بالعبادة جاعلا الأمر فى صورة المضارع ليحقق أولا معنى القصر على الله وحده ، وإظهار العبادة فى صورة الخبر كأنه سورع إلى تنفيذه ووقوعه فهو يخبر عنه كما مر فى المجازى . ثم

---

(١) الانفطار ١٣ ، ١٤ .
(٢) الروم ١٩ .
(٣) النســاء ١٤٢ .
(٤) سورة الأعراف ٣١
(٥) البقرة ٨٣ .

اختار المضارع المفيد للاستمرار وهو استمرار ينتظم الحاضر والمستقبل يعني: لاتستمروا على العبادة الكاملة إلا لله وحده ، ولما كان الإحسان إلى الوالدين يلي في الدعوة القرآنية عبادة الله لأنه ضرب من رد الجميل كما قال الله «واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا »[١] «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا » [٢] ولاحظ حين أتى بالعبادة في صورة الأمر كرر الجملة مؤكدا للعبادة بنفي نقيضها أو النهي وهو الإشراك وحين أتى بالنهي في الآية الثانية «وقضى ... »جاء به في صورة القصر ، مسبوقا بالحكم النافذ والأمر المقضي « وقضى » أقول : لما كان البر بالوالدين هذه منزلته : إلتزم في كثير من نصوص القرآن : هذه العبارة وبالوالدين إحسانا : أو مايعادلها .

ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا ، أو حسنا »فتقدم المتعلق : الوالدين وأتى بالمصدر مرادا به الأمر إحسانا أو الفعل محذوف تقديره . أحسنوا أو تحسنون ، مبالغة في التأكيد ، وان كان أقل من التأكيد في عبادة الله ، ثم ثلث بالأمر الأخير . وهو قول المعروف أو قول الحسن للناس على طريقة الأمر الإرشادية ، كثمرة للعبادة وطاعة الوالدين أو ثمرة للنفس التي تربت على العبادة والتقوى والخير والبر ، جزاء حتى صار طبعا أي الإحسان لمن يستحق كالوالدين ، وابتداء في كل معاملة وسلوك . قولا وعملا ، لأن القول دليل العمل .

ويفهم من عطف الإنشاء على مثله ــ والخبر على نظيره أن الخبر

---

(١) النســاء ٣٦ .

(٢) الاسراء ٢٣ .

لايعطف على الإنشاء ، وقد مرت بك هذه القضية ورأى الإمام القزوينى حتى تظل القواعد البلاغية قائمة — التقدير بمعنى أننا نقدر فى سورة — الصف . وبشر الصابرين الذين آمنوا . معطوفا عليه أى : فانذرهم ، وبشر وفى قوله تعالى « لأرجمنك واهجرنى مليا » . أى فاحذرنى واهجرنى كما قدر الزمخشرى[١] وقد سبق ذلك بالتفصيل وهو فى نهاية الأمر لايجعل الفصل بين الخبر والإنشاء قاعدة تامة السلامة ، تستوى فى كل الأساليب ... والله أعلم . والحمد لله رب العالمين .

مكة المكرمة فى رمضان المعظم ١٤٠٦ هـ

---

(١) بغية الايضاح ٢/٨٧ .

مراجع البحث

١ — الابهاج فى شرح المنهاج للامام على بن عبد الكافى السبكى

٢ — الاتقان . السيوطى .

٣ — أثر النحاة فى البحث البلاغى : د. عبد القادر حسين .

٤ — الاستغناء فى أحكام الاستثناء : شهاب الدين القرافى .

٥ — أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجانى .

٦ — أسرار ترتيب القرآن :

٧ — أسرار التكرار : الكرمانى .

٨ — أساس البلاغة : الزمخشرى .

٩ — الأسس الجمالية د. عز الدين اسماعيل .

١٠ — أسس النقد الأدبى د. أحمد بدوى .

١١ — الأسلوب : الشايب .

— أساليب الاستفهام فى القرآن الأستاذ عبد العليم فودة .

١٢ — الأطول : العصام .

١٣ — الأعجاز البلاغى : د. محمد أبو موسى .

١٤ — الاعجاز البيانى د. بنت الشاطىء .

١٥ — الاعجاز فى دراسات السابقين : الاستاذ عبد الكريم الخطيب.

١٦ — اعجاز القرآن : للباقلانى .

١٧ — اعجاز القرآن : الرافعى .

١٨ — الأقصى القريب : التنوخى .

١٩ — الأمالى الشجرية : ابن الشجرى .

٢٠ — أمالى المرتضى .

٢١ — أمين الخولى فى مناهج تجديده : د. كامل سعفان .

٢٢ – أنوار الربيع : ابن معصوم المدنى •
٢٣ – الايضاح/ القزوينى •
٢٤ – الايمان/ ابن تيمية •
٢٥ – البحر المحيط/ أبو حيان •
٢٦ – بدائع الفوائد/ ابن قيم الجوزية •
٢٧ – البديع/ ابن المعتز •
٢٨ – بديع القرآن : ابن ابى الاصبع •
٢٩ – البرهـان : الزركشى •
٣٠ – بصائر ذوى التمييز/ الفيروزبادى •
٣١ – البلاغة تطور وتاريخ : د• شوقى ضيف •
٣٢ – بلاغة العطف فى القرآن د• عفت الشرقاوى •
٣٣ – البلاغة القرآنية : د• محمد أبو موسى •
٣٤ – البيان العربى : د• بدوى طبانة •
٣٥ – البيان والتبيين : الجاحظ •
٣٦ – تأويل مشكل القرآن : ابن قتيبة •
٣٧ – تحت راية القرآن : الرافعى •
٣٨ – تحفة الأريب : أبو حيان •
٣٩ – ترجيح أساليب القرآن : محمد بن المرتضى اليمانى •
٤٠ – التصوير الفنى – سيد قطب •
٤١ – تفسير أبى السعود : ارشاد العقل السليم •
٤٢ – تفسير الألوسى : روح المعانى •
٤٣ – تفسير البيضاوى بحاشية الشهاب •
٤٤ – تفسير الرازى : التفسير الكبير •
٤٥ – تفسير سورة النور : ابن تيمية •
٤٦ – تفسير سورة الفاتحة : محمد عبده •
٤٧ – تفسير الطبرى جامع البيان •

٤٨ ــ تفسير غريب القرآن : ابن قتيبة .
٤٩ ــ التفسير القيم لابن القيم جمع حممد أنيس الندوى .
٥٠ ــ تفسير الكشاف : الزمخشرى بحاشية السيد .
٥١ ــ تفسير النيسابورى : غرائب القرآن .
٥٢ ــ تقــــرير الامبــابى .
٥٣ ــ جواهر البلاغة : الهاشمى .
٥٤ ــ جوهر الكنز لنجم الدين احمد بن الأثير .
٥٥ ــ حاشية الدسوقى .
٥٦ ــ حاشية السيد على الكشاف .
٥٧ ــ حاشية السيد على شرح الكافية .
٥٨ ــ حاشية الشهاب على البيضاوى .
٥٩ ــ حاشية عبد الحكيم .
٦٠ ــ الحيوان للجاحظ .
٦١ ــ درة التنزيل : الاسكافى .
٦٢ ــ درة الغواص : الحريرى .
٦٣ ــ دفاع عن البلاغة : الزيات .
٦٤ ــ دقائق التفسير لابن تيمية جمع د. محمد السيد .
٦٥ ــ دلائل الاعجاز عبد القاهر .
٦٦ ــ دلالات الالفاظ د. ابراهيم انيس .
٦٧ ــ دلالات التراكيب د. محمد ابو موسى .
٦٨ ــ الرمز والرمزية د. محمد فتوح .
٦٩ ــ الرمزية فى الأدب : درويش الجندى .
٧٠ ــ لروض الأنف : أبو القاسم السهيلى .
٧١ ــ سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجى .
٧٣ ــ شرح المفصل لابن يعيش .

٧٣ ــ شرح الكافية للرضى .
٧٤ ــ الصناعتين للعسكري .
٧٥ ــ الصورة الفنية د. جابر عصفور .
٧٦ ــ ضياء الدين بن الأثير د. زغلول سلام .
٧٧ ــ الطراز للعلوى .
٧٨ ــ الظاهرة القرآنية : مالك بن نبي .
٧٩ ــ عبد القاهر الجرجاني : د. أحمد بدوى .
٨٠ ــ عباس العقاد ناقدا د. عبد الحى دياب .
٨١ ــ علوم البلاغة : المراغى .
٨٢ ــ العمدة : ابن رشيق .
٨٣ ــ عيار الشعر ابن طباطبا .
٨٤ ــ غريب القرآن: السجستانى .
٨٥ ــ الفن القصصى فى القرآن د. محمد خلف الله .
٨٦ ــ فى النقد الأدبى د. شوقى ضيف .
٨٧ ــ فوائد فى مشكل القرآن : عز الدين بن عبد السلام .
٨٨ ــ قضية الاعجاز القرآنى د. عبد العزيز عرفة .
٨٩ ــ قضايا النقد د. العشماوى .
٩٠ ــ القاموس المحيط .
٩١ ــ الكتاب سيبويه .
٩٢ ــ لسان العرب ابن منظور .
٩٣ ــ اللغة الشاعرة : العقاد .
٩٤ ــ المثل السائر لابن الأثير .
٩٥ ــ المحصــول للرازي .
٩٦ ــ مدخل الى علم الأسلوب : د. شكرى عياد .
٩٧ ــ مدخل الى القرآن : د. محمد عبد الله دراز .
٩٨ ــ شــاهد القيامة .

٩٩ ـ المطول سعد الدين التفتازانى .
١٠٠ ـ معترك الأقران : السيوطى .
١٠١ ـ معجم ألفاظ القرآن : مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
١٠٢ ـ معجم المصطلحات البلاغية ط د. أحمد مطلوب .
١٠٣ ـ المعجم المفهرس احمد عبد الباقى .
١٠٤ ـ معجم مقاييس اللغة ابن فارس .
١٠٥ ـ معنى لا اله الا الله رسالة للزركشى .
١٠٦ ـ معانى الحروف للرمانى .
١٠٧ ـ مغنى اللبيب لابن هشام .
١٠٨ ـ مفتاح العلوم : السكاكى .
١٠٩ ـ مفردات الراغب .
١١٠ ـ من أسرار اللغة د. ابراهيم أنيس .
١١١ ـ من الاعجاز البلاغى د. صباح دراز .
١١٢ ـ من بلاغة القرآن د. أحمد بدوى .
١١٣ ـ منهج الزمخشرى فى تفسير القرآن د. الجوينى .
١١٤ ـ من الوجهة النفسية د. محمد خلف الله .
١١٥ ـ النبأ العظيم د. محمد عبد الله دراز .
١١٦ ـ نظم الدرر البقاعى .
١١٧ ـ نظرية اللغة فى النقد العربى د. عبد الحكيم راضى .
١١٨ ـ نقد النثر قدامة بن جعفر .



محتويات الكتاب

	صفحة
تقـــديم	٣
الفصل والوصل	٩
الوصل بحروف العطف	١٧
الواو بين المفردات	٣٢
صـــفات الله تعالى	٣٦
فى الصفات البشرية	٣٩
الوليد بن المغيرة وصفات اللئم	٤٦
عطف المتقاربات دلالة	٤٨
الواو بين التشريك والربط	٥٠
الجامع بين القراءات والجمل	٥٥
الجامع الخيالى شاهد وتحليل	٦٨
مواطن الفصل	٧٠
عطف الجملتين خبرا وانشاء	٨١
الفعل نعم	٨٢
الواو بين الجمل المختلفة خبرا وانشاء ولا محل لها	٨٨
الفصـــل بشر	٨٨
النوع الثانى من كمال الانقطاع	٩٩
الوضع الثانى من مواضع الفصل : كمال الاتصال	١٠٤
مراجـع البحث	١٢٧
محتويات الكتاب	١٣٣



رقم الايداع بدار الكتب ٨٩/٤٣١٨

